تاريخ اليهود السياسي

د. علي عبد فتوني
تاريخ اليهود السياسي
الدكتور علي عبد فتوني

تاريخ اليهود السياسي

دار الفارابي
المقدمة

اعتمدت الصهيونية الوعود الإلهي المزعوم لبني إسرائيل
لإنهاء تشتيتهم من خلال العودة إلى صهون، واعتبروه المبدأ
المركزي الذي يحرك الصهيونية ويفضي عليها الشرعية.
وبالتالي بدأت المنظمة الصهيونية تنادي بهجرة اليهود من
جميع أصقاع الأرض إلى فلسطين. وعملت ب مختلف السبل
على تهجيرهم، لإقامة دولة عن طريق الاستعمار الاستيطاني،
على اعتبار أن فلسطين هي وطنهم القديم (أرض الميعاد)
وعلى هذا ارتكز أبناء الصهيونية منذ نشأتها على أسس من
الدمج بين الفكر الديني والفكر السياسي، وما زالت حتى
اليوم تربط كيانها السياسي بالدين. وتجعل من الدين أساساً
لوجود الدولة العبرية وحجة في اغتصاب الأرض، ومن ثم
استعملها. علماً أن اليهودية دين لا يتمتع أتباعه براءات أو
صكوك تاريخية أو قانونية تبرر استيلائهم على أرض فلسطين
ولا تربط بين تجمعاتها المنتشرة في العالم لغة ولا حضارة
ولا ثقافة واحدة. فهم يفتقدون إلى كل المقومات التي تبني
الأمم، والتي تجعل كتلة من البشر متحدة اجتماعياً وسياسياً
واحداً يقيم على أرض واحدة وتمتد جذوره في ترابها.
التاريخ السياسي

الصهيونيون، هم الذين اخترعوا وروجوا الرسوم بأن اليهودية قومية، واليهود أفراد في أمة سبقونا احتلال فلسطين، واليوم يحاولون صهر يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في "قومية" يهودية واحدة قائمة على الدين واللغة، (أين القومية هي قوة هذا العصر). فقد درج الصهيونيون على محاولة خلق قومية من الديانة اليهودية، وفرضها على يهود العالم لاستخدامها منها قوتيهم.

لقد وضعت الصهيونية لنفسها عدداً من الأهداف نجحت في تحقيق بعضها، وأخفقت في تحقيق بعضها الآخر. ويعود نجاحها إلى عوامل عديدة، من أبرزها: ارتباطها بالعوالمية وانخراطها في مشاريعها وتلمسها منتحل تطور الأحداث على الساحة الدولية، ومسارعتها إلى استثمار الفرص التي تتوافر لها، واتباعها المرونة وتكيفها أهدافها المرحلة وفق طبيعة الأوضاع القائمة وموازين القوى دون التنازل عن أهدافها النهائية، وقدرتها على استغلال معاناة اليهود على أيدي النازيين، ونجاحها لفترة طويلة من الزمن في تجنيب قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي إلى جانب قضيتها عبر إظهار نفسها بصورة الضحية وإبراز معركتها بوصفها جزءاً من معركة التقدم ضد التخلف، والديمقراطية ضد الاستبداد على الصعيد العالمي.

وعندما تم إعلان "دولة إسرائيل" راحت الدولة الجديدة.
تشارك الصهيونية العالمية في تهجير يهود العالم إلى فلسطين، باعتبار أنهم منفيون عن وطنهم القديم في أرض إسرائيل التاريخية.
وقد أشار إعلان قيام دولة إسرائيل إلى أن يهود العالم يشكلون شعباً واحداً، وأن هدف الصهيونية هو إعادتهم إلى أرضهم التاريخية لتحقيق بعثهم القومي.

د. علي عبد فتوني
الفصل الأول

اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم
إبراهيم الخليل (ع).
نسبه وحياته وأسفاره

ويلد إبراهيم الخليل في بلدة كوثا، وهي قرية من قرى الكوفة، وأطلال بلدة كوثا ما زالت تسمى "قلة إبراهيم"، وإلى جانب النصر يوجد مزار يُعرف بمقام إبراهيم. وقد ورد في التوراة (العهد القديم) أن إبراهيم وُلد في قرية (أدر) الكلدنانية. وهذا يتفق مع التقليد حيث إن إبراهيم قد وُلد في الرجأ أو قرب أوركيش، وهي مناطق ضمن (أدر) الكلدنانية(1). وكان أبوه من بلدة كوثا واسمه "تارخ" وأمه "عوثراء". وورد في القرآن الكريم خلافاً لما ورد في العهد القديم أن إبراهيم بن أزير، وقيل في تفسير الآية أنه عمه وليس أباه وناداه أباه لأنه هو الذي رُتاه(2). وكانت أم إبراهيم وأم لوط أختين هما ابنتان "اللاجع" وزوجته سارة.

نورة الله الجزائرية: "قصص الأنبياء"، مؤسسة الأعلى، بيروت 1991، ص 165.
(2) القرآن الكريم، سورة الأ[Interrupt]
ويهي أبنته خالته، وكانت سارة غنية صاحبة أرض واسعة، فملكتها لإبراهيم. لقد عاش إبراهيم في وسط الخرافات واللوثية، وعندما كان وحده في حانوت والده تارخ خطر له أن يأخذ فأسًا ويحطم بها كل الأصنام (1)، وقال لقومه: "إن هذه الأصنام لها أعين ولا تبصر، وأذان ولا تسمع، وأيد ولكنها لا تتحرك، فمن المؤكد إذا أنها لا تصلح لشيء، لهذا حظمتها، فما كان من المعقول أن تعبوا ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم؟" (2).

وعندما ذاع في بلاده نبا ما فعله أكبر أبناء تارخ بالأصنام وما قال عنها، لم يعد من المتأممون بقاء إبراهيم الخليل وأسرته في ذلك البلد (3)، خصوصاً بعد أن كسر أصنام نمرود الذي أمر بإحراء ولم يحترق، فأمرهم بأن ينفوه من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بما يشتهيه وحاله (4). فحاججهم

البن هوايت: "الأباء والأبياء"، ترجمة: فرج الله إسحق، دار الشرق الأوسط، بيروت (بدون تاريخ). ص 127.
القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الجزء الثالث عشر. سليمان مظهر: "قصة الدينات"، مكتبة مدبولي، القاهرة 1995، ص 322.
عبد الرزاق الأسود: "المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب"، المجلد الأول، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1981، ص 144.
إبراهيم فقال: "إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا علي ما ذهب من عمري في بلادكم". عند ذلك اختصموا إلى قاضي نمرود، فقضى أن الحق لإبراهيم، فأخذوا سبيله وسبيل ماشيته ومالي، فأخرجوا إبراهيم ولوطًا معه من بلادهم إلى الشام إلى بيت المقدس (1).

هاجر إبراهيم سنة 1996ق.م. من بلاد ما بين النهرين مع جماعة كبيرة من الأتباع، فأخذ معه أملاكه. وقد سار إبراهيم وأتباعه إلى حاران، حاران حالياً وتقع شمال سورية ومنها إلى أرض كنعان (فلسطين). وأقام في شيم (نابلس)، ثم رحل إلى بيت إيل (بيتين)، ثم انتقل إلى جنوب فلسطين ونزل في قرية أربع (الخليل)، ثم هبط إلى وادي الأردن. حيث اجتاحت البلاد موجة من القحط والغلاء، وقد منعت السماء أمطارها، ولم تعد جداول المياه تفيض في الأودية، فنجفت مراعي السهول، فلم تجد قطعان الغنم أو الماشية مرجعًا لها، وهددت المجاعة المحلة كلهام.

لقد كان الجميع ينتظرون في لهفة معرفة ما سيفعله إبراهيم إذ تراكمت عليه المتاعب. وكان الجميع يشعرون أنه

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: "إسرائيل"، دار الفجر، بيروت 1958، ص 9.
لم يزل هناك رجاء ما دامت ثقتته هو ثابتة غير متزعزعة، وأن الله يرشده (1).

لم يستطيع إبراهيم تفسير تصرفات العناية، ولم يحقق ما كان ينتظره، غير أنه تمسك بالوعود القائل: «أبارك وأعظم اسمك وتكوين بركة». فبالصلاة الحارة اللجوذة جعل يفكر في كيف يحفظ حياة أهلها وقطعانه، ولكنه لم يسمع للظروف أن تزعزع إيمانه بالله، فلكي يتقى شر الجوع، نزل إبراهيم الخليل إلى مصر ليقيم هناك، لأن المجاعة قد اشتدت في الأرض (2).

فلما قارب أن يدخل مصر قال لزوجته سارة: «أعلم أنك امرأة جميلة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون، أنهم يقولون هذه امرأة جميلة، فيقللونني ويخونون». ولما دخل إبراهيم الخليل مصر، رأى المصريون أن المرأة جميلة جداً، ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيتها، فأحسن إلى إبراهيم بسبها، فصار له غنم وبقر وحمير وجمال وخدام وخدمات.

فضرب الله فرعون وبيته ضربات شديدة بسبب سارة امرأة

عبد المنعم فوزي: "المذكرات في المجتمع العربي"، دار النهضة، بيروت 1970، ص 346.

اتخذ الله إبراهيم خليلًا لأنه لم يسأل أحدًا غير الله عز وجل، ولكن سجوده على الأرض.

(1)

(2)
إبراهيم. فاستدعى فرعون إبراهيم وقال له: "ماذا صنعت بي؟ لماذا لم تعلمني أنها امرأتكم وقتل قنها أختي حتى أخذتها لتكون لي امرأة؟ والآن هذه امرأتكم، خذها وامض، وأمر فرعون قومه فشيعوه هو وأمرته وكل ماله".

وقال فرعون لإبراهيم: "انطلق من حيث شئت ولكن لي إليك حاجة وهي أن تأذن لي أن أقدم لزوجتك سارة "قبطية" عندي جميلة، عائلة تكون لها خادمة". فاؤذن له إبراهيم فوهبها لسارة وهي "هاجر" أم إسماعيل، وعندما أبطأ على إبراهيم الولد قال لسارة: "لو شئت لبعتني هاجر لعل الله يرزقنا منها ولداً، فيكون لنا خليفاً، فابتاع إبراهيم هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل". وقد رزق إبراهيم من زوجته سارة أباً في شيخوخته وأسماء "إسحاق".

وبعد طرد إبراهيم الخليل من مصر، صعد هو وأمرته ولوط معه إلى بلاد كنعان، وأقام في حبرون (مدينة الخليل). ثم وقع نزاع بين رعاءة إبراهيم ورعاءة لوط أدى إلى انفصالهما، فاختار لوط أن يرحل إلى سهل الأردن.

وحدث بعد هذا أن بعض ملوك البلاد المجاورة الواقعة على الفرات أغاروا على مدن سهل الأردن وأسروا لوطاً مع أهل بيته واستولوا على أملاكه.

"الكتاب المقدس" العهد القديم، سفر التكوين 12/17.
"القرآن الكريم" سورة الأنعام، الآية 6.

(1) "الكتاب المقدس" العهد القديم، سفر التكوين 12/17.
(2) "القرآن الكريم" سورة الأنعام، الآية 6.
فلمّا بلغ الخبر إبراهيم سلّح من معبه، وانطلق ليلًا فكسرهم واسترجع لوطًا وأملاكه ونساءه وجمع الأسرى وكل ما كان لهم، فخرج ملك «سدو» لاستقباله بعد رجوعه، وباركه، وملك صديق ملك أورشليم وقال: «هناك إبراهيم من الله العلي مالك السموات والأرض، وبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يده». فأعطاه إبراهيم عشراً من كل ما استولى عليه وأبي أن يأخذ لنفسه شيئاً من الغنيمة. وقد مات إبراهيم الخليل وعمره منة وخمس وتسعون سنة، ودفنه إسماعيل وإسحاق في حيرون (الخليل)، في المقبرة التي دفنت فيها زوجته سارة (1).

اشتهر إبراهيم الخليل باستقامة سيرته وسمو مبادئه، وقد كان من أكبر زعماء قبائل العرب.

وأما لا شك في أن نبوءة إبراهيم الخليل قد انتشرت في الأفاق حتى خلد اسمه في جميع بقاع الأرض التي مر بها كما نشأدها اليوم في المزارع والمقامات العديدة التي تحمل اسمه، وهي مشتقة في البلاد العربية عموماً. تجدر الإشارة إلى أن إبراهيم كان على اتصال دائم مع أبناء عشيرته والقبائل التي يرتبط بها بصلة القرابة والوطن الواحد. وكان شأنه في ذلك شأن العرب الذين كانوا...

(1) "الكتاب المقدس، سفر التكوين، 12/18/14."
يُستقرون في المدن والقرى. وقال الله سبحانه: "ما كان إبراهيم يُحَرَّمًا ولا نخُلُقًا ولكن كات حُبًا مُّسَلِّمًا وما كان من المُشْرِكِينَ". (1)

وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطًا بالجزيرة العربية وكانت له جمال وأغنام، وكانت له اتصالات تجارية وسياسية وزراعة مع القبائل التي كانت تسكن البادية الممتدة بالفرات وبالاردن والبحار.

وبذلك يكون إبراهيم الخليل قد قطع مسافات طويلة عبر البوادي متبقلاً بين القبائل العربية من منطقة إلى أخرى في متأخذات شاسعة من الجزيرة العربية محتكماً بمنطقة وفُرُعًا وسكانها ورؤساء عشائرها. وفي سيرته هذه تبرز الرابطة القوية التي تربط العالم العربي بعضه ببعض بوساطة الثقافة واللغة والتراث الصحراوي الباعث على النبوء والتمامي في سماء الروحانية التي انبثقت منها النبوة السامية التي نصل الخالق بالمخلوق. (2)

انطلاقاً من ذلك خاطب الرسول إبراهيم وقال له:

"انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض".

(1) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 67. (2) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، العربي للإطلاع والنشر، ط2، دمشق 1973، ص 254.
التاريخ السياسي

التي أريك، وأنا أجعلك أمة كبيرة، وأبارك وأعّم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركك، وألعن لاعتيك ويتبارك بك جميع عشائر الأرض؛ (1)

فكان والحالة هذه رسولًا حاملًا علم العروبة بين وادي الرافدين وأداة النيل، رسول المحبة والتوحيد والسلام، يصل بين أعظم حضارتين في العالم القديم. كان كل ذلك قبل أن يعرف العالم أو يسجل التاريخ وجود الموسوين بسبع مئة سنة.

أما ما يتعلق بفلسطين، فإن إبراهيم الخليل لم يدخلها غازياً ولا محارياً ولا فاتحاً ولا محتلاً، وإنما جاء متنقلًا بين العراق مسقط رأسه، وبين المناطق العربية السامية على ضفاف وادي الفرات مثل (ماري)، (وهران)، وفي المناطق العربية الغربية مثل دمر ودمشق وكنعان، شأنه في ذلك شأن القبائل العربية التي كانت تتنقل في البداية من مكان إلى آخر، فتعمر كل الجزيرة العربية وكل الوادي، وادي الفرات بوجه خاص وطنها.

وهكذا استقبل إبراهيم الخليل بكل ترحاب هو وأتباعه. ففي حران كان بين عشيرته وأقربائه وهم جماعة الآراميين، وفي بلاد كنعان استقبله الكنعانيون بالتجلّة والتعظيم، وقد سبق لهم أن استقروا في أرض كنعان منذ أوائل الألف الثالثة.

(1) الكتاب المقدس، المهد القديم،سفر التكوين 12/17.
قبل الميلاد، وهم كالأراميين ساميون عرب من أهل الجزيرة العربية.(1) وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطاً ارتباطاً كلياً بجزيرة العرب وبعشائرها وقبائلها، ومن ضمنها الحجاز، ولم تنقطع صلاته بها(2). وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك حيث جاء اسم إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل مقررهم بالجزيرة العربية، ويت، الله العتيق، مكة المكرمة. ورد على اليهود لأنهم اعتبروا إبراهيم الخليل عربانياً نبل القران الكريم حيث قال: "فأنا أكون لأجلك، إنك أتمتlocking في إبراهيم وما أتزيل إلى التوراة والإنجيل إلا من بسويلة أثرة تمثثات"(3). وإن إبراهيم لم يكن يهودياً لأنه وجد في وقت لم تكن الديانة اليهودية قد جاءت. ولم يكن موسى قد وُلد وُعِث بعد، وعلى ذلك فتكون دعاهم باطلة.

ويصف القرآن الكريم إبراهيم الخليل أجمل وصف وضعه في مكانة سامية بين الأنبياء، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في 63 موضعاً ضمن 25 سورة.(4)

أحمد سوسة: "العرب واليهود..." (المرجع السابق)، ص 260.
محمد عزة دروزة: "منختارات قومية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1988، ص 304.
القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 64.
عبد الرؤوف محمد أسد: "المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب"، المجلد الأول، الدار العربية للمسوعات، بيروت، ط 1، 1981.
انطلاقاً من ذلك، كيف يمكن أن يكون إبراهيم الخليل
يهودياً، وهو عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمون
أنفسهم يهوداً بحوالي ألف وثلاث مئة عام.
وكذلك نسأل: كيف جاء اليهود إلى العراق، وكيف
اتصلوا بإبراهيم الخليل في حين لم يكن لهم وجود بعد؟
وكيف يتزعم إبراهيم الخليل اليهود في رحلته إلى فلسطين قبل
أن يكون خلق يهوذا الذي جاءت تسمية اليهود منه، أو يكون
خلق عقاب (إسرائيل)? تجد الإشارة إلى أن إبراهيم
الخليل بحسب رواية التورة ينتمي إلى القبائل الآرامية، وهي
قبائل عربية نزحت من وطنها الأصلي في جزيرة العرب،
واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سوريا، ثم نزل
بعض أسرها إلى العراق، ومن جملتهم أسرة إبراهيم
الخليل(1).
وفي هذا السياق نشير إلى أن بعض الكُتاب والمؤرخين
العرب اعتبروا هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة موسى
من مصر وكأنهما لقوم واحد أو لجماعة واحدة. علماً أنه لا
توجد علاقة بين الهجرتين، فهجرة إبراهيم الخليل من مسقط
رأسه العراق وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي
قبل ظهور جماعة موسى بسبعة قرون(2).

أحمد سمرة: "العرب واليهود..."، (المرجع السابق)، ص 268.
أحمد سمرة: "العرب واليهود..." (المرجع نفسه)، ص 268.

(1) (2)
أما لجهاة إبراهيم الخليل بالعبراني كما وردت بالتوراة، كان يُراد بها القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرامية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا المعنى جاءت كلمة "عبيرو" التي عثر عليها في النصوص المصرية والتي تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد.

وقد حاول الحاخاميون ربط تاريخهم بآقدم العصور عند استعمالهم مصطلح (عبر - عبراني)، للدلالة على اليهودية بوجه عام، علماً أن إبراهيم الخليل عاش في زمن يسبق زمن موسى، حيث لم يكن لليهود أي وجود.

أما ما أوردته الباحثون من كلمة "عبر" مشتقة من "عبر" أي قطع نهرًا أو غيره، أو من "عابر" أحد أسلاف إبراهيم، فغير مستندة إلى دليل أو أساس. وقد نبى القرآن الكريم إلى هذه الناحية.

وقد قال عباس محمود العقاد: إن إبراهيم الخليل كان زعيم قبيلة بادية مضططلاً في شؤون الجزيرة وأحوار العرب وزعمائهم وعاداتهم، فلا يمكن أن يُقال عنه إنه إسرائيلي لأن كلمة إسرائيل أول ما استُعملت أطلقت على (يعقوب)، حفيد أحمد سوسة: "العرب واليهود .." (المرجع نفسه)، ص 249.

(1) هنادي الحاج: "الأديان من أولها إلى خاتمنها"، بيروت - لبنان، (بندون تاريخ)، ص 5.
(2) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 67.
(3)
تاريخ اليهود السياسي

إبراهيم، ولا يمكن أن يقال عنه أنه يهودي لأن اليهودية نسبت إلى ن Hawks رابع أبناء يعقوب (1).

- يعقوب (ع): نسبه وأسفاره

تزوجه إسحاق بن إبراهيم وهو في الأربعين من عمره بابنته عمه "رفقة" بنت ناحور التي كانت عاقراً في البداية، إذ قضت عشرين سنة وإسحاق يصلع ويدعو الله أن يرزقه ولداً. فبعد أن حملت رفقة كان في بطنها تورامان. وعندما وضعت، خرج الأول أحمر وجسدته مكسو بالشعر فدعوه عيسو. وبعد ذلك خرج الثاني ودبه قابضة بعقب أخيه فدعى يعقوب. وعندما كبر الغلامان اشتهراً "عيسو" بالصيد فيما عرف يعقوب بالكمال، وحدث أن أحب إسحاق ابنته عيسو بينما فضلت رفقة ابنها يعقوب. ولهما شاه إسحاق وكلاً عيّنوه من النظر استعدى عيسو وطلب إليه أن يخرج إلى البريد ويصطاد ثم يحضر الطعام لولده الذي وعده بأن يبارك ويجعله وريثاً له (2).

لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب عباس محمود العقاد: "إبراهيم أبو الأبنياء" مطبوع دار الهلال، مصر.

(1) عدنان حداد: "الخطر اليهودي"، دار البحروني، بيروت 1997، ص 37.

(2)
سمعته رفقة ما دار من حديث بين زوجها وابنها البكر، فما إن رأت عيسو يتوارى عن الأنظار في غيابه البرية طلباً للصيد حتى أخبرت ابنها يعقوب بما حدث، وعن عزم والده مباركة عيسو أمام الرعب، فقالت له: "إذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جدين من المعزى، فأطعمهما أطعمة لأييك حتى يبارك قبل وفاته" (1).

دخل يعقوب على والده الذي شق نظره وادعى أنه البكر عيسو، وأنه قد عاد تأوًّا من الصيد ودعاه والده للجلوس كي يتناول من الطعام الذي حضره له. وهكذا بارك إسحاق ابنه يعقوب معتقداً أنه عيسو، وانطلقت عليه الحيلة التي حبتها زوجته رفقة ونفذها ابنه يعقوب (2).

ولكن ما إن مضت برهة من الوقت حتى كان "عيسو" قد عاد من الصيد، فHashSet الطعام كما طلب منه والده. فارتد إسحاق من هول المفاجأة وأحس بأنه كان ضحية خديعة. فكان لا بد أن يحقق عيسو على شقيقه يعقوب وأن يضمر له الشر. وهذا ما دفع والده "رفقة" إلى حمل ابنها يعقوب على الهرب واللجوء إلى حاران (شمال سوريا)، حيث يقيم خاله.

(1) الكتاب المقدس: سفر التكوين 26/12/17.
(2) حسن زرور: "سيف دارود، خداع وأضاليل"، دار الرسول الأكرم، بيروت 1998، ص 42.
لاقابه. أما إسحاق فرغم ما حدث له مع ابنه يعقوب فقد استدعاه وكأن شيئاً لم يكن وباركه. وبعد أن باركه وتبناً له بالذريعة الكثيرة لم يغفل عن الإثيان على ذكر الأرض الموعودة. وهنا ينتهي دور إسحاق بعد أن حصر نسل إبراهيم بابنه يعقوب.

توهج يعقوب كما أشارت عليه والدته من بئر السبع إلى ديار خاله، وبينما هو في الطريق وجد مكاناً بات فيه، لأن الشمس قد غابت، فأخذ بعض حجارة المكان فوضعه تحت رأسه ونام. في ذلك المكان حلماً حلواً فإذا: «صلماً منصوبة على الأرض ورأسها يلامس السماء، وإذا ملأت تلك الله صاعدون نازلون عليه فقال: أنا الرَب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، إن الأرض التي أتت نائم عليها لك، أعطها لنسلك، وليكون نسلك كتراث الأرض. وتمتد غرباً وشرقًا وشمالاً وجنوباً، ويتبارك بك وينسلك جميع قبائل الأرض لأنني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به».  

وهكذا انضم يعقوب إلى الفئة المحظوظة من نسل إبراهيم التي تمتعت بمبكرة الله وحظيت بالوعد الإلهي.

(1) جورج كفمان: "تاريخ يهوه", الدار العربية للعلوم, بيروت 1994, ص 56.
(2) "الكتاب المقدس", العهد القديم, سفر التكوين 28/12/15.
المتعلق بالحصول على أرض كنعان. ويعقوب هو من المراجع الأساسية التي يعتمد عليها اليهود لتحديد نسل إبراهيم المعترف به، وحصار الأرث بمن يحق لهم الاشتراك في اقتسامه. وبعد هذا الحلم ارتقت معنويات يعقوب وقويت ثقتته بنفسه، فتابع سفره جادًا في الرحل إلى حيث يقيم خاله لابان. وقد تزوج يعقوب بزوجات من بلاد ما بين النهرين منهم راحيل ابنة خاله(1)، ورزق منهن إثني عشر ولداً وهم: رأويين/ لاوي/ يهوذا/ يساكر/ زبولون/ كان/ إشار/ شمون/ دان/ ونتالي. 

أما يوسف وتبنيهما فأهما راحيل ابنة خاله(2).

طالت إقامة يعقوب في ديار خاله لابان حتى ناهزت عشرين عاماً. ساءت خلالها ظروف الحياة وتوترت العلاقة بين يعقوب وخاله، فانتهز فرصة غياب خاله، فأخذ نساءه وأولاده وحاشيته ورحل إلى أرض كنعان. وحين اقترب من المكان الذي يقيم فيه شقيقه (عيسو) أرسل إليه بعض الرسل، فكان جواب شقيقه أن التمآمة ما زالت على ما كانت عليه منذ عدة سنوات، فقضى يعقوب ليله في ذلك المكان في وحدة تامة. وفيما هو يصلي شعر بيد غريبة وقوية توضع

(1) عدنان حداد: «الخطر اليهودي»، (المرجع السابق)، ص 42.
(2) جورجي كنعان: «تاريخ يهود»، (المرجع السابق)، ص 58.
عليه، وقد خاض عقوب عراً ضد الرجل حتى مطلع الفجر عند جدول صغير في منطقة الأردن يدعى "فيروق". ولما رأى الرجل أنه لا يقدر عليه، طلب منه أن يُطلقه، فقال له لا أطلقك حتى تباركني، فباركه وقال له: "لن يُدعى اسمك يعقوب من بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الرب والنساء وغلبت"(1).

ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميين قديمتين هما: إسر بمعنى غلب وإيل أي الإله أو الله، وقد أصبحت هذه التسمية مصدر فخر من الناحية القومية لبني إسرائيل، وأصبحوا ينسبون أنفسهم لها فيقولون: "بيت إسرائيل" أو "آل إسرائيل", أو بني إسرائيل، وكثيراً ما يختصرون التعبير فيقولون إسرائيل فقط كما ورد في التلمود(2).

وفي هذا المجال يقول أحمد سوسة، إنه ورد في الكتابات المصرية عهد "مرتفتاح" سنة 1230ق.م ذكر إسرائيل بصورة إحدى المدن في جنوب فلسطين، وهذا يدل على أن كلمة إسرائيل كنعانية، سامية، عربية الأصل، ترجع إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد. وكانت تحظى بقداسة روحانية.

(1) كتب سيف الدولة: "نظرية الثورة العربية", دار الفكر, بيروت 1971, ص 309.
اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

بين سكان المنطقة، وذلك قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون.

وقد أرجع كتبة التوراة أصل اليهود إلى إسرائيل وإبراهيم الخليل، وتسموا ببني إسرائيل وذلك بغير إرجاع نسبهم إلى أقدس العروق البشرية وربط تاريخهم بعصور قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها.(1)

وكان مجموع النفوس الخارجة من صلب يعقوب خمسة وسبعين نسناً. وكان أحدهم إلى يعقوب ابن يوسف. لذلك نشأ الحمد في نفس إخوته لأن والدهم كان يفضله عليهم، فحققوا عليه، وألقوا في البحر وادعوا أن الوحش الضارية قد افترسه.

وقد مرت قافلة فراة رجالها فانشلوا ثم باعوها في مصر.

وقد اشتهر بذكائه وبراعته في تفسير الأحلام، فاستدعاه مرة فرعون طالباً إليه الكشف عن مضمون حلم أزعجه. وقد نال حظوة لدى فرعون فغدا أميراً عظيماً. وتزوج بإبنته رئيس الكهنة في مصر.(2) ولما اشتدت المجاعة في أرض كانعان، اضطر أشقاء يوسف للذهاب إلى مصر للحصول على القمح.

أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرج السابق)، ص 449.
المسيحي: "مروج الذهب"، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، بيروت، ص 47.

(1) 
(2)
في هذه الأثناء تعرّف يوسف على أشقائه ثم طلب إليهم أن يحضروا أباهم. ذهب يعقوب إلى مصر عام 1650 ق.م، مع أبنائه الذين سيمكّنون أسباط بني إسرائيل.

وعندما وصل يعقوب إلى مصر قال لأولاده: «أدفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي، في المغارة التي تقع في حقل المكفيلة التي أمام حمرا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل في عفرون الحثي، هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته.»

أهمية هذه المقبرة عند اليهود التي تعرف الآن بالحرم الإبراهيمي، أنها تجمع إلى جانب ضريح إبراهيم وزوجته، وإسحاق ورفقة، ضريح يعقوب وكل بيت يوسف وأخواته، وبيت أبيه.

عندما استقرت عائلة يوسف في مصر، كان الحكم في أيدي الملوك الرعاة (الهكسوس)، الذين غزوا البلاد.

هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل...»، (المرجع السابق)، ص 10.

الطيب إلياس لطيف: «لبان التوراتي في اليمن»، دار الجنوب للطباعة، ميدان 2000، ص 127.

الكتاب المقدس، المهد القديم، سفر التكوين 49/29–32.

1

2

3
وانتصروا بفضل مهاراتهم في الحرب وأسلحتهم الجديدة وخيلهم وعرباتهم. هؤلاء الغزاة الآتى من الشمال كانوا نصف ساميين، وكانوا مكروهين من المصريين، ولكن حققوا التوازن بين العرقين ولم يمنعوا القبائل الآسيوية، ومنها اليهودية من الدخول إلى الأرض المصرية.

حكم الملوك الرعاة مصر طوال قرنين، من سنة 1790 حتى 1580م. وحين دخل اليهود مصر في سنة 1650م كان المجتمع المصري متقسماً إلى طبقات متباينة: حكام طغاة، وطبقه الشعب، وطبقه رجال الدين الذين يسمحون بعبادة آلهة متعددة.

وقد مكث اليهود في مصر حوالي القرنين (1650-1450م) فضوا منها حوالي سبعين عاماً تحت حكم الملوك الرعاة حيث لاقوا من قبائل الملوك الرعاة معاملة حسنة جعلتهم يتمتعون ببعض الامتيازات المالية والاجتماعية. ويعود ذلك إلى أن الملوك الرعاة شجعوا دخول الآسيويين إلى أرض مصر ليساعدواهم على الوقوف في وجه الشعب المصري، ورد حملات الفراعنة الذين يعملون على استعادة تفوّزهم ووسط سلطاتهم.(1)

(1) عنوان جدّا: "الخطر اليهودي"، (المراجع السابق)، ص 56.
عندما نجح المصريون في طرد الهكسوس وترعوا على سدة الحكم فقد اليهود امتيازاتهم بعد أن أصبحوا تحت سلطة أعدائهم (المصرود)، الذين صبروا عليهم مدة مئة وثلاثين عاماً، قبل أن يطردوا من أرض مصر. خاف المصريون الذين تحرروا من ظلم الهكسوس استعبادهم من جديد من قبل اليهود، مما دفع المصريين إلى طردهم، وإيقاع أشد أنواع الخسف والجور بهم، وتسلطوا عليهم وصراعهم في بناء الطرق والمدن والمزارع والأعمال في الحقول.

ثم كَلَّم ملك مصر قابلي العبرانيات وقال: "إذا ولدت من العبرانيات، فانظروا إلى جنس المولود، فإن كان ابن فأميته، وإن كانت ابنة فلتحيا، لكن القابلتين لم يلتزما. عندئذ استدعى ملك القابلتين وقال لهم بما إذا لم تلتزما، وعلى أثر ذلك أمر فرعون كل شعبة قائلاً: كل ابن يولد لهم فاطرحوه في النيل، وكل ابنة فاستبقوها.

ولقد اتخذ ملك مصر هذا القرار بحق اليهود لأن هاجسهم الأساسي، كان التناسل فيما بينهم لإثار شعوب مع التشديد على نظافتهم العرقية لأعتقادهم أنهم شعب يختلف


32
اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

عن بقية الشعوب، وأن الاندماج مع الشعوب الأخرى يعتبر خروجاً على عقيدتهم وإضعافاً لها. وهذا الشعور ما زال يلازمهم بقوة حتى اليوم.

ومنذ دخلت إقامة اليهود في مصر مراحل صعبة، وأخذوا يفكرن في الرحيل، بدأت قصة موسى ونجماته من جور فرعون.
موسى (ع): حياته، مواقفه وأسفاره

مضى رجل من آل لاوي، فتزوج بابته لاوري، فحملت المرأة وولدت ابنًا جميلاً سنة 1525م. (1) وذلك في زمن فرعون المدعو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان، وهو الرابع من فراعنة مصر، وقد طال عمره. حينذاك كان بنو إسرائيل قد استقلوا بعد مرضى يوسف واشتد عليهم البلاء. وأخير أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون أن مولداً سيولد ويزيل ملكه ويحدث بلاد مصر أمواً خطرة، فجزع لذلك فرعون، وأمر بذبح الأطفال (2). وعندما علمت والدته بالأمر أخفته ثلاثة أشهر، ولم لا تستطع أن تخفية بعد أخذت له سلة من القصب وجعلت الولد فيها، ووضعتها بين القصب على حافة النهر، ووقفت أخته مريم من بعيد لتعلم ما يحدث له، فنزلت بابنة فرعون «حتشبوت» إلى نهر النيل لتغسل، فرأيت السلة فأرسلت خادمتها وفتحتها ورأت الولد،

(1) الكتب المقدس، العهد القديم — سفر الخروج 2/7-15.
(2) المسعودي: مروج الذهب، الجزء الأول (المرجع السابق)، ص.48.
فإذا هو صبي جميل بيكما، فأشفقت عليه وقالت هذا من أولاد العبرانيين. فقالت أخته لأبنا فرعون، هل أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات ترضع لك الولد، فقالت لها أبنة فرعون أذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أم الولد، «يوكابد بنت لاوي»، فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر جاءته به ابنة فرعون، فاصبح لها ابنًا وسمته موسى أي الموجود بين الماء والشجرٍ.

إن موسى نبي، تعرف بنبوته الديانات الثلاث، ولكن هل هناك دليل على أن موسى كان محتفظًا بدم بني لاوي الذين جاؤوا إلى مصر، أم أنه يرجع إلى طبقة الكهنة الذين يرعون الشؤون الدينية في مجتمع بني إسرائيل، في هذا يقول الكاتب اليهودي (فرويد): "إن موسى كان قائداً مصرياً في جيش الاختاتون ولم يكن من اللاوين كما جاء في التوراة".

ولما كبر موسى خرج إلى أخوهه وأراى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته، فالفت فلم ير أحداً فقتل المصري وطمره في الرمل. لم يكن قتل مصري من قبل عبراني من السهولة بحيث يمضي بغير عقاب، خصوصاً أن

(1) القرآن الكريم، سورة القصص، الجزء العشرون.
(2) المزيد من التفاصيل يراجع كتاب: أحمد سوسة: «العرب والإسلام»، (المراجع السابق)، ص 237.
العبري الذي أنقذه موسى خان متى وكشف اسمه. فطلب فرعون أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون، لأن وجوده لم يعد مأمونًا، فأسرع إلى «بلاد مدين»، منطقة تقع في شبه جزيرة سيناء، حيث عمل راعياً لدى شيخ صالح يدعى شعيب وزوجه إحدى ابنته.

في طريق عودته إلى مصر أوجى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأراه الله معجزة العصا واليد، وأمره بالتوجه إلى فرعون لدعوته للتوحيد بعد أن شد أزره بأخيه هارون.

توجه موسى وهارون إلى مصر وظلا يأتيان كل يوم ويجلسان ببابه فلا يصلان إليه لشدة حجابه. ثم فيما بعد استطاعا الوصول إلى فرعون فعرضوا عليه عبادة الله، فاستهان ما واستنكر خطهما(1).

قرر فرعون أن يفرج الحجة بالحجة، وأن يقابل سحر موسى بسحر مثله. فجمع سحرة بلاده، وانتهى الأمر بسجود السحرة للله تأبين مؤمنين، فثار فرعون وتوعد سحرة بتقطيع أطرافهم وصلبهم(2). وقرر فرعون قتل موسى، فهرب إلى سيناء عام 1450ق.م، مع جماعته الذين بلغ عددهم حوالي

سللي الخمسة: "تاريخ الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى"، بيروت 1988، ص. 13.
(1) فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعي: "حقيقة اليهود" (بدون تاريخ)، ص. 2.
لاليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

ست مئة ألف حسب تقدير بعض الباحثين، بعد أن أقاموا في مصر 430 عاماً (1). وما إن دخلوا صحراء سيناء حتى رأوا أنفسهم في بيداء قاحلة، بعد أن تجنبو الطريق المحابي للبحر المتوسط، وساروا في الطريق جنوب صحراء سيناء خوفاً من وقوعهم فريسة للاستعباد مرة ثانية، وانتظروا هناك مدة أربعين عاماً (2).

وحول ضرورة سيطرة اليهود على أرض كنعان فأرض الميقاتة ورد في التوراة: "إذا أدخللوك الرج إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتيرتها وتطرد من أمامك أمماً كثيرة، أحم وأكثر وأقوى منك، وأسلمهم الرج إلهك بين يديك، وضربتهم، فحزمهم فحماً، لا تقطع معهم عهداً، ولا ترأف بهم، ولا تصاحبهم، ولا تجع ابتك لابته، ولا تأخذ ابته لابتك. تدمرون منابحهم وتكسران أنصابهم وتحطمون أروادهم المقدسة، وتحرون تماثيلهم بالنار. لأنك شعب مقدس للرج إلهك، وإياك اختار الرج إلهك لتكون له شعب خاصته من جميع الشعوب التي على وجه الأرض" (3).

(1) محمد أبو المحاسن عصغور: "معالم حضارات الشرق الأدنى القديم"، دار النهضة العربية، بيروت 1979، ص 168.

(2) محمد مصباح حمدان: "الاستعمار والصهيونية العالمية"، (المراجع السابق)، ص 22.

(3) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الاشتراك 7/10-26.
انطلاقاً من هذا المعتقد أرسلوا رجالاً يستطعون أرض كنعان، وقد عادوا من استطلاع الأرض بعد أربعين يوماً، وقدموا تقريراً لموسى وهارون وقالوا فيه: قد دخلنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، فإذا هي بالحقيقة تدر اللبن والعسل، غير أن الشعب الساكن فيها قوي، والمدن محصنة، ورجالها أقوياء وأناسها أشداء، ورأينا العمليات في أرض النقب، وكذلك الحثي والبيوسى والأموري في الجليل، والكنعاني مقيم عند البحر وعلى ضفة الأردن، وقالوا لموسى: إنا لا نخرج على هذا الشعب لأنه أقوى منا، وكل الشعب الذي رأيناه فيها أناس طوال الفينات(1).

بعد ذلك وقع الرعب في قلوب كثير منهم وجعلهم يفكرون ثانية في العودة إلى أرض مصر ويتالون هناك رغيداً وسلطانًا على خلاف ما عرفوه من حكامهم الأسبقين من الذل والهوان مما زاد انشقاقهم على بعض وكادت الفتى أن تصف بهم(2).

في ذلك الوقت كان موسى ومعه بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر عند خليج السويس. وخلال الطريق ترك موسى بني إسرائيل ليصعد إلى جبل طور، ويمكث ثلاثين ليلة

(1) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر النوفع 13/18-33.
(2) جوزيف كنعان: بمحمد بالتلوثية، دار بيسان للنشر، 1999، ص 207.
صائماً لتلقي من ربه الوصايا (الألواح) التي ترسم الطريق للمؤمنين، وامتدت الأيام الثلاثة فصارت أربعين ليلة. وكان موسى قد استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل يدبر أمورهم ويرعى شؤونهم. ولما طال غياب موسى عن قومه تحركت في نفس السامري، نزوة الشر والفساد، فاغتنمتها فرصة وجمع الخبي ووضعها في حفرة وأوقد عليها وصنع منها عجلًا، وراحوا يجدونه ويعبوروه ربهم يهود. 

وعندما عاد موسى وشهد وضع قومه فتملكته الثورة والغضب وأحرق العجل وأمرهم بدخول فلسطين، فانсходوا وقالوا له: "إن فيها قومًا جبارين، وإننا لن ندخلها حتى يخرجو منها، فإن خرجوا منها فإننا داخلون، ثم قالوا: إننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أن وربك فقاتل، وإننا قاعدون". حيثذا دعا موسى على قومه وقال: "ربنا إني لا أملك إلا نفسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين". فشكا موسى قومه، فغضب عليهم وتركهم

جوبي كنعان: "وثيقة الصهيونية والنهاد القديم"، دار النهار للنشر، بيروت 1985، ص 47.

عبد الرزاق محمد أسود: "الأديان والمذاهب"، (المراجع السابق)، ص 147.

هنادي الحاج: "الأديان من أولها إلى آخرها، اليهودية تاريخاً وعقيدة"، إصدار شركة M.C.A.Sarl، إشراف وتصحيح الشيخ خالد صرفان، ص 16.
يتيهون في هذه الصحراء أربعين سنة، مات خلالها هارون عند جبل «هورا» وكان عمره 117 عاماً، ودفنه موسى، وأخبر قومه بوفاته. أما موسى فقد توفي بعد هارون بعام واحد في شبه جزيرة سيناء، ودفن في «كثيب أحمر» دون أن يدخل فلسطيناً، وكان عمره يوم وفاته 120 عاماً (1) . وقد تعددت الروايات حول وفاته، حيث قيل إنه مات شهيداً بعد ان اغتاله الكهنة الذين قاموا بهم، وهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية، وقيل إن يوشع بن نون هو الذي اغتاله بعد أن استدرجته إلى أعلى الجبل ثم أعلن موته وفقاً لما أمر به الرعب. خلف موسى يوشع بن نون حيث كان قد اختاره موسى لقيادة اليهود حسب الثورة قبل وفاته (2) . وقال موسى لعيسى بن يونس: «إنك أنت تدخل هذا الشعب الأرض التي أقسم الرعب لأن آباؤهم إن أعطيهم إياها، تشدد وتشجع، فإنك أنت تدخل بني إسرائيل إلى الأرض التي أقسمت لهم عليها» (3) .

أما ما يتعلق باحتلال مناطق ومدن خارج أرض كنعان، ورد في التوراة الاستراتيجية الواجب اعتمادها والتي ركزت

(1) صالح زهر الدين: «المملكة العربية في ملف المخابرات الصهيونية»، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت 1985، ص ص 10-11.
(2) سلمى الخنساء: «تاريخ الفكر السياسي» (المرجع السابق)، ص 13.
(3) «الكتاب المقدس، العهد القديم»، سفر الاشتراك 31/24-32/6.
على ضرورة دعوة سكان المدن إلى السلام، "إذا أجابك بالصلم وفتحت لك أبوابها، فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السكر، ويخدمك، وإن لم تسالمك بل حارتك، فحاسوها، واضرب كل رجالها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدن من غنية، فاغتنمها لنفسك، كل غنائم أعدائك أعطاك الحرب إنه يياه"!}

ويشع بن نون (ع): انتقلت القيادة إلى يشع بن نون، فأفراد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بعد وفاة موسى، محرر بني إسرائيل من العبودية. وكان على يشع قيادة بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة، حيث خاطبه الرب وقال له: "إن موسى قد مات، فقم الآن واعبر الأردن أنت وكل هذا الشعب، إلى الأرض التي أنا معطيتها لبني إسرائيل، كل مكان تدوسه بطن أقدامكم لكم أعطيته، كما قلت لموسى، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير، نهر الفرات، كل أرض الحشيم وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس تكون أراضيكم. فلا يقف أحد أمامكم طول أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك."!

الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الإشراع 20/12-10.
المصري: مرور البعث، 4، (المراجع السابق)، ص 51.
وعلى مسافة أميال قليلة من النهر مقابل المكان الذي كان الإسرائيليون حاليًّن فيه كانت مدينة أريحا المنيعة. لقد كانت هذه المدينة في الواقع مفتاح البلاد كلها. وكان يمكن أن تكون عقبة كأداء في سبيل تقدم بني إسرائيل: لهذا أرسل يوشع شابين إلى هذه المدينة كجاسوسين ليعايناها ويعرفا شيئاً عن مكانها ومنافذها وقوة استحكامها. وإذا كان سكان المدينة مرتدبين وحائزين، أو يقطنون وحذرين على الدوام، وعندما حصل الرجلان على ما كانوا يبيتان، رفع الرجلان ونزلوا عن الجبل وعبروا وأتيا إلى يوشع بن نون وقصا عليه كل ما أصابهما، وحدثاه بكل ما جرى لهما وقالا: «إن الرب قد أسلم إلى أبدنا كل الأرض» (1). عندئذ صدرت الأوامر إلى الشعب بالتقدم. ودخل الإسرائيليون أرض كنعان، ولكنهم لم يخضعوا، وكان يبدو للعين البشرية أن الصراع في سبيل امتلاك الأرض سيكون طويلةً وشاقاً ومريراً، إذ كان يقطن البلاد أقوام أشداء، وقد وقفوا على تمام الأهبة لصد أي عدون يقوم به الغزاة على أرضهم. وقفت تلك القبائل صفاً واحداً، إذ وحد بينها الخوف من وقوع خطر شامل، مع الإشارة إلى أنهم كانوا متوفرين على الغزاة بخيلهم ومركباتهم الحربية، وعرفتهم للبلاد وتدريبهم

(1) جورجي كتنان: "تاريخ يهوه...", (المراجع السابق)، 71
اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

الحربي. زد على ذلك أن في البلاد معاقل وحصوناً، ومدناً عظيمة. ولكن الإسرائيليين لم يكونوا يؤمنون في النصر والنجاح في ذلك العصر إلا لكونهم واثقين بقوة خارجة عنهم ستهب لنجدهم.

ومن أمنع المدن الحصينة في البلاد التي وقفت أمامهم كانت مدينة أريحا، وهي من المراكز الرئيسية لعبادة الأوثان، وكانت مكرسة لعبادة عشتروت إلهة القمر. وقد رأى يوشع أن الانتصار على أريحا سيكون الخطوة الأولى في غزو بلاد كنعان(1).

وتقول التوراة إن الرب أمره بعبور الأردن إلى الجانب الغربي، وقد قضى في طريقه على بعض ملوك كنعان. وكانت أريحا أولى المدن الكنعانية التي احتلها الإسرائيليون فحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيش حتى البقر والغنم بحذ السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، إنما الفضة والذهب وآلية النحاس والحديد جعلوه في خزانة بيت الرب. ومن المدن التي استولى عليها يوشع بن نون بيت إيل وعayı ولخيش وعجلون وحيرون وديره.

أما الفلسطينيون المتحصنون في مدنهم الساحلية بين غزة

ويفافا فصدوا تقدم الإسرائيليين غرباً، وكان الفلسطينيون متفوقين عليهم في معداتهم الحربية، إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعديله، وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه. لذلك لم يجرؤ بشغب على محاربتيهم فتجتثبهم، كما تجتّب المدن المحصنة ومنها أورشليم لمناعتها(1).

أما المدن الشمالية الكنعانية الفينيقية، فكانت في حرز حرز لمناعتها وراء سلسلة جبال لبنان، وكانت الموانئ على ساحل البحر تساعدنا على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية مع الخارج. وكان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفاً للنحاس والقصدير قد فتح لها عهدًا جديداً، فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة وبيعها وذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحثيين، فتقدمت صناعياً وازدهرت تجارتها(2).

أما على صعيد بلاد كنعان، فإن الذي ساعد على تقدم الفتح بقيادة يوشع هو ملاءمة الظروف السياسية السائدة آنذاك. فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع ما بينها، دوريات لا يحصى عدها، يحكم فيها حكام إقطاعيون مستبدون همّهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم.

١٢٧

أحمد سوسة: "العرب واليهود..."، (المرجع السابق)، ص 291.

(1) الكتب المقدس، المهد القديم، سفر يوشع 12/16-13/7.
لذلك استطاع يوشع أن يستولي على عدة مناطق في فلسطين، وأبدى شعوبها وقتلاً عدّاً كبيراً من ملوكها. ويقول اليهود إنه تلقى بركة موسى من يده قبل موته. ويقولون إن له معجزة كبيرة هي وقف الشمس وثبوت القمر حتى أكمل انتقامه من أعدائه. وقد حكم يوشع، 25 سنة، حيث مات وعمره 120 عاماً ودفن في جبل إفرايم (1).

لقد عرضت التوراة وضع الموسويين في كنعان بعد موت يوشع على أنهم أصبحوا مهددين بالفناء، وقد اضطروا أن يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها، فضاقت بهم الأمر حتى قام لهم الرب القضاة ليخلصهم من يد أعدائهم. لذلك سمي هذا العهد بعصر القضاة.

ابتدأت هذه الحقبة مع عتنائيل (1356-1316 ق.م)، وانتهت مع صموئيل (1079-1050 ق.م)، حقبة دامت ثلاثة قرون تولى قيادة بني إسرائيل خلالها رجال اختارهم يهوه ليكونوا في الوقت نفسه أبناء وقضاة ومنتقدين للشعب المختار من الأخطار الخارجية لا سيما من الحروب.

وكان عهد القضاة عهداً مضطرباً تخللته عدة نكسات كادت تهدد الموسويين في فلسطين بالنفاذ، إذ تعترف التوراة

(1) رؤيدي غارودي: "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، ترجمة: حافظ الجمالي وصباح الجهيم، دار عطية للنشر، 1996، ص 61.
أن الكنعانيين والفلسطينيين أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من إخضاع الإسرائيليين تحت حكمهم فترات. وأن أول من أخضعهم «كوشان» ملك أرام النهرين ثماني سنوات (1). ثم هاجمهم بنو عمون والعمالقة واستولوا على مدينة أريحا (2). ثم حاربهم «يابين» ملك كنعان في حاصر بشدة عشرين سنة (3). واستعدهم بنو عمون والفلسطينيون ثماني عشرة سنة (4). وفي أواخر عهد القضاة أوقع الفلسطينيون بالإسرائيليين هزائم شديدة حتى إنهم استولوا على تابوت العهد، وخضع الإسرائيليون إلى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر «شمشون» فحارب الفلسطينين (5).

خلال حكم القضاة، كانت تسودهم التفرقة، والسلطة كانت بيد الشيوخ ورؤساء العشائر أبناء العبران، أي لم يكن هناك سلطة مركزية، ولا قوانين ولا غير ذلك من أشكال الحكم. لذلك أظهر اليهود تعبدهم من حكم القضاء، فطلبوا من صموئيل أن يقيم عليهم ملكاً كما للممالك الكنعانية والفلسطينية ملوك. فعارضهم صموئيل في ذلك، وبعد نقاش

---

(1) سفر القضاء 3/7-13.
(2) سفر القضاء 3/14-13.
(3) سفر القضاء 2/31-94.
(4) المرجع نفسه 3/14-30.
(5) المرجع نفسه 12/13-13/7.
وجدل طويل اضطر إلى أن يقيم شاؤول من قبيلة بنيامين ملكاً عليهم. وفي تلك الفترة تكثفت اليهود تحت حكم الملك شاؤول تجاه خطر الفلسطينيين. لقد قاتل الفلسطينيون بني إسرائيل وهزموهم، وسقط منهم قتلى في جبل الجلبع، وضيق الفلسطينيون على شاؤول وبنيه حيث قتل وأولاده الثلاثة وجميع رجاله. وعندما رأى رجال الدين في الوادي، أن شاؤول قد قتل، تركوا المدن وهربوا، وأتى الفلسطينيون وأقاموا فيها، بعد أن نزعوا سلاح جماعة شاؤول الذي دام حكمه 14 سنة (525-1010ق م)، وخلفه في الحكم داود (1).

داود (ع): عندما أحسم شاؤول أن داود يظهر كمنافس خطير له، وتوقع أن يكون مزاحماً كبيراً له على السلطة، قرر التخلص منه، فحكم عليه بالإعدام. لكن داود كان يتوقع مثل هذا الحكم، وقال إني سأحلوك يوماً بيد شاؤول، فلا شيء خير لي من أن أفر فاراً إلى أرض فلسطين، لأنجو بنفسي من بده. فعبر داود مع ست مئة رجل إلى «آكيش» ملك جت، وقال داود لأكيش: إن كنت قد نلت حظوة منكم، فليبعث لي مكان في إحدى مدن الريف، فأسكن هناك، فأعطاه آكيش «صفلاج» وهي تقع شمالي بتر السبع إلى حسن زعور: داود...، (المرجع السابق)، ص 147.
الشرق (1). حينذاك كان الفلسطينيون قد جمعوا جيوش معسكراتهم ليحاربوها بني إسرائيل فعبر أقطاب الفلسطينيين وعبر داود ورجاله معهم في المؤخرة مع آكيش. على ضوء التحاق داود بهم، قال رؤساء العشائر الفلسطينية من هؤلاء العبرانيون: ف فقال لهم آكيش: هذا داود عبد ملك إسرائيل، ولم أثبت عليه شيئاً منذ هجرته إلينا إلى هذا اليوم. فغضب عليه رؤساء العشائر وقالوا له: "ردد هذا الرجل وليرجع إلى المكان الذي عينته له". فدعا آكيش داود وقال له: إنك أنت مستقيم، وإني لم أجد فيك سوءاً منذ يوم أثينتي. فأما في عيون الأقطاب فلست بصالح، فارفع الآن واذهب بسلام ولا تفعل ما يسوء في عيون أقطاب الآلة: طيءين، وطلب آكيش من داود الذهاب إلى صقلاء (2).

وعلى أثر موت شاؤول وأولاده خلال المعارك مع الفلسطينيين كان داود في صقلاء، اجتمع آباء إسرائيل بداود في حيرون قائلين له: "هوذا نحن عظمك ولحمك، حين كان شاؤول ملكاً، كنت أنت تختر وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب إلحك أنت ترعى شعبى إسرائيل، وأنت تكون

(1) سفر صموئيل الأول 27/4-28/3.
(2) سفر صموئيل الثاني 5/1-11.
قائداً لشعب إسرائيل». وأقبل جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك في حبرون فقطع معهم داود عهداً أمام الرب، ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل بحسب قول الرب على لسان صموئيل (1).

فما اعتلى إيشبوشت الابن الرابع لشاؤول عرش والده، وكان هذا بدء الانقسام بين أسباط بني إسرائيل. وبعد سبع سنوات مات إيشبوشت فتولى داود الحكم على قبائل بني إسرائيل (2).

ووحدة داود على أورشليم (يныйوس)، حيث كان اليهوديون سكان تلك الأرض، الذين طلبوا من داود عدم الدخول، لأنهم سيعاربونه حتى العصيان والعرج. لكن داود استولى على حصن صهيون، (مدينة داود) (3). وقد اتخذ مدينة أورشليم بعد استيلائه عليها عاصمة له، وبنى فيها قصره الملكي (4).

وتؤكد التوراة أن داود لم يستطع طرد اليهوديين سكان سفر الأخبار الأول 10/5-11/4. (1)

(2) صالح زهر الدين: «المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية»، (المرجع السابق)، ص 11.


(4) سفر صموئيل الثاني 5/1-11.
أورشليم الأصليين رغم احتلالها، والبيوضيون قبيلة من القبائل
الكنعانية بقوا في مدينتهم وفي أرضهم في جميع الظروف.
ولما أراد داوود أن ينشئ الهيكل المزعوم، قام بشراء
قطعة أرض اختارها لهذا الغرض من أصحابها البيوضيين.
تجرد الإشارة إلى أن العوامل التي ساعدت على توطيد ملك
داوود وتهيئة الظروف الملائمة لبعض الاتساع هي أن أمور
مصر في عهده كانت مرتبكة فخفت هيمنتها على فلسطين
وبلاد الشام، وكانت أمور الدولة الأشورية مرتبكة كذلك،
وقد منح الواقع داوود شيئاً من الحرية والنشاط والتبطط
وممارسة السيادة.

خلال حكم داوود أرسل حيرام ملك صور أخشاب الأرز
ونجارين ونحاتين للأسوار فنوا بيت داوود.
لقد تزوج داوود عدة زوجات بعد مجئه من حيرون إلى
أورشليم وولد له بنون وبنات، منهم سليمان.
إن وصول داوود إلى السلطة ونجاحه في إدارة كفة
الحكم لم يكونا وليدة الصدفة، بل ثمرة تجارب روحية.

أحمد شلبي: "مقارنة الأديان - اليهودية"، مكتبة النهضة، القاهرة
1966، ص 57.
سفر صموئيل الثاني 5/12-6/2.
عدينان حداد: "الخطر اليهودي .."، (المرجع السابق)، ص 82.
وحكمة سياسية، ومهارة عسكرية دأب أحفاد إسحاق على الاستعداد لها منذ بداوته الأولى. عكف داوود على تنظيم شؤون مملكته، فاعتنى بتنمية قوته العسكرية عن طريق تشكيل جيش نظامي مجهز العربات. وقد استغل مركز دولته الجغرافي المشرف على شؤون التبادل التجاري، فنشط اقتصاد مملكته وركز أسسه على دعامات متينة (1).

ولما دنا يوم وفاة داوود أوصى ابنه سليمان وقال له: "أنا ذاهب في طريق أهل الأرض كلههم، قشدة وكن رجلاً، واحرص أواصر الرب إلحك لتسير في طريقه، وتحفظ فرائه ووصاياه وأحكامه وشهادته، على ما هو مكتوب في شريعة موسى لتتجه في كل ما تعلم وحيثما توجهت" (2).

انسحب سليمان من الحياة العامة منذ تسميته خليفة لداوود بانتظار استلام الملك من بعده. واختلى مع نفسه وأهل بيته يطالع الكتب ويقرأ الشرائع. حينذاك تأثر بعض أبناء داوود لاختيار سليمان ملكاً وهو الأصغر فيهم. وكان أكثرهم تأثراً لذلك الاختيار، الابن البكر لداوود واسمه "إيشالوم".

(1) سفر الملوك الأول: 1/52-2/14.
(2) حليم علي شعبان: "سليمان"، دار الكتب العلمية، بيروت 1991، ص 20.
والإيشالوم كان رجلاً صعب المراس، عنيد المواقف، قاسي الطابع، فأراد أن يستولي على الملك بمباعدة أعوان له من بني إسرائيل وجدوا فيه صاحب الحق بالملك لأنه الأبن البكر. فهو البكر وهو صاحب الحق الأول، وأنه ابن ملك وحفيد ملك. فأمه هي بنت طالوت ملك إسرائيل قبل داوود، وشقيقه سليمان كان صغير السن ليتسلم مقاليد الملك(1).

واتفق إيشالوم مع أتباعه سراً على التجمع في حبرون (مدينة الخليل)، ومن هناك ينصبونه ملكاً على إسرائيل ويعلنون معارضتهم لسليمان. وقدم إيشالوم إلى أبيه داوود وطلب الإذن بالذهاب إلى حبرون ليوفي نزراً، فسمح له داوود بذلك.

وأخذ إيشالوم يخطط مع الناقمين والطامعين في النفوذ والمناصب ليصل إلى هدفه. فأرسل الأعواج والجواسيس إلى كل أطراف البلاد ليستطلع أحوالها ويجند الأنصار في صفه مستغلاً طبيعة التقلب في الشعب الإسرائيلي، واستعدادهم الدائم للعصيان والتمرد. ولما كثر مؤيدو إيشالوم في حبرون أعلن نفسه ملكاً. وأخذ أنصاره وأتباعه يزدادون حتى وثق بمقدره على القدوم إلى بيت المقدس ليحتل العرش بالقوة، ويقضي على أبيه. فجهز جيشاً قوياً واتجه نحو بيت

(1) حلمي علي شعبان: «سليمان» (المرجع نفسه)، ص 22.
المقدس. وعلم داود بزحف إيشالوم وقدومه عليه محارباً، فتوجب داود المواجهة لأن الحرب الداخلية تقسم بني إسرائيل وتسبب فناءهم. فانسحب من بيت المقدس، وقيل إنه لجأ إلى جبل الزيتون، والبعض الآخر قال إنه عبر نهر الأردن، وقيل إن داود جهز جيشاً وأرسله لمحاربة إيشالوم وطلب إليه أسره وعدم قتله، إلا أن قائد الجيش قتل إيشالوم، فائر داود ألا يقتله في حياته بل أوصى ابنه سليمان بقتله بعد موته ولكن حصل عكس ما كان يريد(1).

لقد مات داود سنة 1015ق.م، وكان عمره سبعين عامًا، ودفن في مدينة داود التي اختارها بنفسه عند أسوار أورشليم بعد أن حكم 40 سنة(2). وبذلك خلف داود ابنه سليمان.

سليمان (ع): استلم سليمان الحكم بعد وفاة والده (971-939ق.م)، وكان عمره 20 عامًا. بعد تولي الحكم قتل جميع منافسه ليستطيع من متابعيهم. ويقول اليهود إن عمله هذا لم يغضب «يهوه» إليه الذي أحبه ووهبه الحكمة التي لم يهبها لأحد من قبله ولا من بعده(3).

(1) سفر الملوك الأول: 1/52-2/14.
(2) عبد الرازق محمد أسود: "الأديان والمذاهب"، (المراجع السابق)، ص 148.
(3) صالح زهر الدين: "المنطقة العربية...", (المراجع السابق)، ص 11.
صاهر سليمان فرعون «يشوشس الثاني» (984-950ق.م) ملك مصر، وتزوج ابنته وأتى بها إلى مدينة أورشليم ريثما يتم بناء بيته وسور أورشليم المحيط بها (1).

لقد أمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكته وأرسل إلى حيرام، ملك صور قائلاً: "كما فعلت مع والدي دارود وأرسلت له أرزًا لبني بيتا لاسم الرب" (2). وها نأنا قد نويت أن أبني بيتاً كما كلم الرب دارود أبي قائلاً: "إن ابنك الذي أقيمك مكانك على عرشك هو بني بيتاً لاسمي". والآن عليك أن تطلب بأن يقطع لي من أرز لبنان، وعبيدك يكونون مع عبيدك وأجرة عبيدك أقدمها إليك بحسب جميع ما ترسم لأنك تعلم أن ليس عندما من يعرف بقطع الخشب مثل صيود (3). فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح فرحًا عظيمًا وأرسل إلى سليمان وقال: "قد فهمت ما أرسلت إلينا، نحن نقطع خشب الأرز وخشب السرو، وعبيدنا ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر فأجعله أطواقًا في البحر إلى المكان الذي تسمية لي وأطرحه وأنت تنقله إلى أورشليم. أحمى سليمان جميع النزلاء الذين في أرض إسرائيل، بعد إحصاء دارود أبيه.

(2) حلي علي شعبان: "سليمان"، (المرجع السابق)، ص 38.
لهم. فكانوا مئة وخمسين ألفًاً وثلاثة آلاف وست مئة. فجعل منهم سبعين ألف حامل أثقال، وثمانين ألفًاً قالع حجارة في الجبل، وثلاثة آلاف وست مئة يشرفون على عمل القوم (1).

بدأ سليمان بناء الهيكل المزعوم في أورشليم في جبل الاموريا، حيث تراى لدى داوود في المكان الذي أعده في بيدر أرنان البيروسي. فبدأ البناء في الشهر الثاني، في السنة الرابعة لملكة (2). وبعد الانتهاء من بناء الهيكل، أمرهم سليمان بناء سور حول المدينة يحميها من غزوات الطامعين. وفي يوم الافتتاح جمع سليمان كثيرون إسرائيل والناس ليحتفلوا بافتتاح الهيكل. أنجز سليمان بناء الهيكل في سبع سنوات، ونقل إليه تابوت العهد وخيمة الاجتماع.

مات سليمان بعد حكم 40 عاماً، ودفن في مدينة داوود (3). الجدير ذكره في هذا المجال أن اليهود يستندون في تعلقهم بالقدس إلى أن هذه المدينة بناءاً الملك داوود، ثم أقام الملك سليمان فيها هيكل الرب، وهو قدس الأقداس.

لطف إلياس لطيف: فلسطين التوراتي في اليمن، (المرجع السابق)، ص 229.

عبد الرزاق محمد أسود: الأديان والمذاهب، (المرجع السابق)، ص 149.

جريدة السفير /ملحق خاص، فلسطين، العدد 4، تاريخ 17 آب 2010، ص 10.
لدى اليهود قاطبة. لكن بعد ثلاث وأربعين سنة على احتلال المدينة ونحو 150 سنة على بداية التنقيب الأثري فيها لم يعثر أحد على أي دليل يشير إلى الهيكل أو إلى أي أثر يهودي فيها، بل صار من المقبول علميا لدى أوساط واسعة من العلماء أن الإسرائيليين لم يدخلوا فلسطين بحروب ومعارك مثل معركة أريحا ومعركة عاي الوارديتين في مرويات التوراة، وإنما بالتسليط التدريجي، فالحفريات دلت على أن أسوأ أريحا لم تكن موجودة في العصر المفترض لدخول يوشع بن نون إليها، فهي تحتملت قبل ذلك بثلاثة قرون ولم يُعد بناها. وأثبتت كاتلين كينون في حفرياتها التي أنجزتها بين (1952-1958)، أن أريحا لم تكن مأهولة قط في تلك الفترة. كذلك كانت عاي مهجورة قبل أحد عشر قرناً من عصر يوشع (1).

أما الهيكل المزعوم فهو واحدة من الخرافات التي تضاف إلى الخرافات اليهودية الأخرى الواردة في التوراة فحتى الآن لم يكتشف اليهود أي أثر لهذا الهيكل الأسطوري. فالتوراة تذكر أن الملك صرف في بنائه سبع سنين وقام بالعمل فيه ثلاثون ألف رجل من لبنان وآلاف العمال من أتباع سليمان، وعلى رؤوس هؤلاء كان يوجد 3300 وكيل، 

(1) جريدة السفير: فلسطين، (المراجع نفسه)، ص 10.
كي يبنوا هيكلًا طوله 60 ذراعًا وعرضه عشرون وارتفاعه ثلاثون بحسب وصف التوراة، أي إن أبعاده 31×10,5×15 متراً، وهذه تساوي 325 متراً فقط أي مجرد شقة واسعة في أيامنا هِذه(1).

من الناحية السياسية، جدد سليمان معاهدة الصداقة التي أبرمها والده داود مع الفينيقين، ولأول مرة بعد خروج العبرانيين من مصر، وقّع سليمان علاقته مع المصريين، وكذلك مع الحثيين والبابليين. كما عُرف عهد سليمان بالازدهار الثقافي حيث انتشرت المزامير. وسليمان ألف ما يعرف ب«نشيد الإنشاد» تلك القصائد التي تصف أظهر وأعنف ما عرف عن الحب الإلهي. وهو الذي ألف «الامثال»، التي أصبح بعضها شعبيًا على كل شفة ووسان، لأن من خلالها تظهر الحكمة التي اشتهر بها، وكتب «أخبار الأيام» بجزءه الأول والثاني حيث وضع كل تجاربه حيائه(2).

رغم تمسك سليمان بالحكمة، لم يستطع أن يمنع الكارثة من الوقوع. فالآراميون والآдумيون أخذوا يتحملون ساعين للتخلص من الاحتلال الإسرائيلي.

(1) عدنان حداد: «الخطر اليهودي»، (المرجع السابق)، ص 85.
(2) قسطنطين خمار: «الموجز في تأريخ القضية الفلسطينية»، المكتبة التجارية، بيروت 1966، ص 14.
إن تدهور الحالة الاقتصادية، والضرائب المرتفعة، والضغط المصري، دفع سليمان إلى اعتماد القوة، وبذلك أضحى ديمقراطياً مستبداً. رغم ذلك تساهل في اتباع الطقوس الوضعية في مملكته مغاضياً عن التقيد بالتعليمات والإرشادات التي كان قد قطع على نفسه الالتزام بها والسهر على تنفيذها، وهو في أوج شبابه، هذا الموقف حمل الشعب على التراجع والإهمال وعدم الاكتارث.

بعد أربعين عاماً من الولاية توفي سليمان، فخلفه ابنه هرحبام، فكانت فرصة انتهزها الشعب ليطلب بالإصلاح، ولكن جواب الملك كان قاسياً وظالماً. عندما ثارت قبائل بني إسرائيل، ففر الملك إلى أورشليم. وهنا انفصلت إسرائيل بقابلها العشر عن بيت داود، وانتفت في الشمال حول شقيقه يربعام، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين:

- الأولى: شمالية: مملكة إسرائيل عاصمتها السامرة في نابلس، وتألف من عشر قبائل، حكمها يربعام.
- الثانية: جنوبية: مملكة يهوذا عاصمتها أورشليم وتألف

يوسف الحاج: «هيكل سليمان»، بيروت 1932، ص 94.
جوش مكدويل: «القرآن في التوراة والإنجيل»، ترجمة: منيس عبد النور، يطبع في ألمانيا، (بدون تاريخ)، ص 97.
من قبيلتين يهوذا ويتامين، ويقت تحت حكم رجعام(1).
وسمي القسمان بمملكتي يهوذا وإسرائيل، وقد كان هذا الانقسام شراً عليهم إذ وقعت المملكتان في حروب دموية.
لقد حكم في كل من المملكتين 19 ملكًا، وانتقل الملك في ذريه سليمان في مملكة يهوذا فيما تنقل في عدد من الأسر في مملكة إسرائيل.
إن مملكة سليمان مزقتها القلق، وسادتها الاضطرابات، وبيموت سليمان فتك بها الفقر والذل، نكست رؤوسها لأهل البلاد الأصليين. فكان الكيد والدسية سلاح بعضهم، وكان الغدر والبطش سلاح البعض الآخر(2).
لقد كانت الحرب سجالًا بين المملكتين، منذ البداية واستمرت طوال وجودهما مما أضعف كليهما(3). هذا عدا الغزوات التي كانت المملكتان معرضتين لها من الخارج. فأول من غزا مملكة يهوذا شيشنق الأول ملك مصر عام 926م، وأخذ الذهب وخزائني الررب، وخصائص بيت الملك، التي عملها سليمان.
وفي زمن يهورام ملك يهوذا الرابع (841م)،

جورج كنعان: "وثيقة الصهيونية .."، (المراجع السابق)، ص 88.
حسن زعور: "سيف داود .."، (المراجع السابق)، ص 166.
جورج كنعان: "وثيقة الصهيونية .."، (المراجع السابق)، ص 91.

(1)

(2)

(3)
انفصل بنو أدوم عن مملكة يهوذا ونصبو على أنفسهم ملكاً. وفي زمنه أيضاً صعد الفلسطينيون والعرب الذين بجانب الكوشيين إلى يهوذا واتجاهوا، فاستولوا على كل الأموال الموجودة في بيت الملك وسبوا أبنائه ونساءه أيضاً. وفي زمن "يوآش" غزا الجيش الآرامي أورشليم، وأهلك كل الروسات، وأخذ جميع الخزائن وقدمها "الحزائل" ملك الآراميين. وفي عهد "أمسيا" ملك يهوذا (796-767ق.م)، هجم يهوذا مثل إسرائيل على أورشليم فهدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة (1). وفي عهد ازدهار مملكة دمشق الآرامية أصبحت كلتا الملكتين، إسرائيل ويهوذا، تحت سيطرتها. فأخذ الملك "هداد" ملك دمشق (870-843ق.م)، الجزية من يهوذا وضم منطقة جلعاد في شرقي الأردن إلى المملكة الآرامية. كما أنه فرض الحماية الآرامية على إسرائيل في عهد ملكها "آخاب بن عومري" (474-853ق.م).

وكان الآراميون يستغلون الخلاف بين إسرائيل ويهوذا لإخضاع كليهما إلى نفوذهم (2).

جورجي كنعان: "محمد واليهودية..."، (المرجع السابق)، ص 263.

عبد الرؤف محمد أسود: "المدخل إلى دراسة الأديان..."، (المرجع السابق)، ص 150.

(1)
(2)
ثم تحركت الامبراطورية الآشورية متعطشة لاحتلال المنطقة، فاصطدمت بالآراميين، وبدأ الصراع بينهما على السيطرة، فاستغل الآشوريون الصراع القائم بين الآراميين وبين إسرائيل ويهوذا للانقراض عليهم جميعاً، فأخضعوه كلههم أخيراً الواحد بعد الآخر.
المعتقدات الدينية لليهود

الدين اليهودي عصب العنصرية اليهودية، وهو دين يختلف اختلافاً بياً من حيث طبيعته ونشأته وتاريخه عن الأديان الأخرى. فهو مجموعة من العقائد والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق. تراكمت وتبلورت ونضجت على مدى آلاف السنين.

وتتضمن الديانة اليهودية على فلسفة أخلاقية تصف بأسلوب مفصول كيف ينبغي أن يعيش الإنسان في دنيا هي هبة الله تعالى للبشر. وتصر على قيام نظام ينظم سلوك الإنسان لأن الأعمال الصالحة وحب البشر والاستمتاع بالحياة هي مفاتيح الحياة (1).

اليهودية معتقد يختلف عن معظم المعتقدات والأديان، هي دين مغلق، فلا يحق لأي إنسان أن يعتنق اليهودية.

(1) هنادي الحاج: "الأديان من أولها إلى خاتمها"، (المرجع السابق)، ص. 9.
ومازالت محاكم إسرائيل ترفض الاعتراف بيهودية مواطنيها من أب يهودي وأم غير يهودية.

وقد استطاع معتنقو اليهودية أن يحافظوا على دينهم وعرقهم، فلم يندمجوا في المجتمعات التي عاشوا معها في كل البلدان، وانعزلوا، وحافظوا على لغتهم وديانتهم وتقاليدهم وسلوكهم المبني على مبدأ واحد هو استغلال الشعوب الأخرى بأية وسيلة، فهم وحدهم "شعب الله المختار" وجميع الشعوب إنما خلقت لتخدم ذلك الشعب.

لم يستطع بنو إسرائيل الاستقرار على عبادة الله الواحد الأحد الذي دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتفعيلة واضحاً في جميع مراحل تاريخهم.

ولم يتخلى عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطع دوسي أن يمنعهم من عبادة العجل الذهبي لأنها كانت حية في ذاكرتهم منذ أن كانوا في مصر.

وبقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى آخر.

(1) خديجة صفى: "من هم اليهود؟", (بدون تاريخ), ص 32.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: "المدخل إلى دراسة الأديان", (المرجع السابق), ص 151.
وفي عهد القضاة تأثر بنو إسرائيل بمعبدات الكنعانين كثيراً. وأصبح بعل معبدًا لبني إسرائيل في كثير من قراهم. وفي أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد فيه تمثال ٌ"يهوه" وتمثال بعل، وقد ظل ذلك إلى عهد يشوعٍ.

وصفات "يهوه" عند بني إسرائيل تختلف عن صفات الإله المعبد. فهو ليس خالقاً لهم، إنما هو مخلوق لهم. وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم، وكثيراً ما يتأمر بأوامرهم. وفيه صفات الحرب إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، كما أنه أمرهم بالسرقة إذا أرادوها. ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه، وليس معصوبًا وكثيرًا ما يقع في الخطأ، ثم يندم على ما فعل. ويهوئ إله قاس مدمر، متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب، بل هو إله بني إسرائيل فقط. وهو بهذا عدد لغيره من الآلهة، كما أن شعبه عدد للشعوب الأخرى.

وهكذا يتبين أن اليهود أكثر شعب شرح دينه وعقيدته

(1) شراد عبد الله الشامي: "إشكالية الهوية في إسرائيل«، عالم المعرفة، العدد 224، تاريخ آب 1997، ص 253.
(2) سهيل ذيب: "الTORAHA بين الوثنية والتوحيدة«، دار النفاس، بيروت 1985، ص 115.
تشريحاً لا رحمة فيه ولا شفقة، وبلا هوية وجرده من كل أسراره ورموزه، وحتى من صفته الدينية(1).
أما إذا أردنا تتبع الأدوار التاريخية حسب تسلسلها الزمني فيتوافق علينا التمييز بين عصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل)، وبين زمن قوم موسى، وبين مملكة يهوذا الذين جاء اسم يهود منهم. وسميت اليهودية بذلك نسبة إلى يهوذا بن يعقوب الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل الذين بعث فيهم موسى، فقلب العرب الذال دالاً(2).
وحسب أدوارهم كما ذكرهم القرآن الكريم، فإبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكانت اللغة في زمنه لغة واحدة، (اللغة الأم) يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية المنتشرون في أنحاء الشرق الأدنى. ثم جاء الدور الثاني بعد حوالي سبع مئة عام هو دور موسى وجماعته عندما نزحت هذه الجماعة إلى أرض كنعان. ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة (قوم موسى)، كما ورد اسمهم في القرآن الكريم(3).

(1) بنيامين فریدمان: "يهود اليوم ليسوا يهودًا"، ترجمة: زهدي الفاتح، دار الثقافة 1988، ص 22.
(2) أحمد سوسة: "أيوب وإبراهيم"، (المراجع السابق)، ص 155.
(3) أحمد سوسة: (المراجع نفسه)، ص 158.
أما الدور الثالث فهو دور اليهود الذي يبدأ برسوم اليهود إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد (686-539م).
وهؤلاء هم بقايا جماعة يهوداً، وقد سُمّوا باليهودية نسبة إلى مملكة يهوذاً، وقد كان لهؤلاء في هذا الدور الأخير النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية. ففي بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصلوا كهتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة، والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي، حتى يُقال إن السبي البابلي كان عاملًا قوياً في تطور الديانة اليهودية. وفي هذا الدور بالذات دُرّنت أهم فصول التوراة، دونها الكهنة اليهود باللغة العبرية المعروفة آرامية التوراة. وكان يهدف هؤلاء إلى تمجيد تاريخ الزمرة اليهودية التي كانوا يعيشون وسطها وهم منها وجعلها صفوة الأقوام البشرية والجماعة المختارة التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب. ولتحقيق هذا الهدف كان لا بدً من إرجاع أصل هذه الجماعة اليهودية إلى أقداس شخصية في التاريخ القديم، أي إبراهيم الخليل. أما الهدف الثاني، فهو تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها.

1. برانتد لويس: قضى يهوديان حول بداية الإسلام، ترجمة: نبيل فاضل، دار الفنون للطباعة والنشر، بيروت 2004، ص 86.
2. أحمد سوسة: العرب واليهود (المرجع السابق)، ص 159.
ويتبين مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد إبراهيم بألف وثلاث مئة عام، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعون قرون، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى في عصره (1).

وقد نذى عيسى بن مريم (ع)، بأعمال من سماهم بالكتابة «الفريسيين والناموسيين»، وأنذارهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة ومبالغتهم في التمسك بالدنيا (2).

كما أن القرآن الكريم أشار إلى أن اليهود قد حرفوا التوراة، إذ قال سبحانه وتعالى: "فَقَالُوا قَوْيِلَ لَيْلَيْنَ يَنْتَبُونَ الْكِتَابَ بَلَدِيْمَ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عَنْدِ اللَّهِ الْيَسَّارُ يُشْرَبْنَ يِهُ وَيُقَدِّسُهُ" (3).

لهذا يكتب ابن مزهري وقيل له "هُمُ يَكُونُونَ قَرْيَةً " (3). فأنتم الذين ألغتموا القرآن فأيامكم سيرتمبهم مرتين. والله تعالى يكذبونهم من بعدهما عقله وهم ينقرعون (4).

فجذبت التحريف واضحًا في مدونات اليهود، كما أخفى اليهود ما ألزمهم بعبادة الله الواحد الأحد، وما أجبرهم على الالتصاق بشريعة موسى، لذلك

1. إنجيل متي، الفصل 33.
2. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 79.
3. القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 91.
4. القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 91.
أنزل بهم الله تعالى قوله: «قل من أرأى الكتاب الذي جاء به موسى وعندك إلخانان نجوماً وعطاياً نُبديته وتحتون كثيرة» (1). اليهود يمجدون تعلقهم بدين آبائهم بوصفه دليلاً على قدرتهم الفائقة على المثابرة، حين تكون القضية بالنسبة إليهم دحض الخصوم الذين يعتبرون تحررهم مستحيلاً، يسمون دينهم ببساطة السند الأقوى للفضائل المدنية والاجتماعية (2).

كان اليهود يشتركون في الاعتقاد بأنهم شعب الله المختار، والتاريخ هو تاريخ شعب إسرائيل في المقام الأول، وهو تاريخ البشرية بصفة عامة. لذا يجب على الملوك والحكام أن يبذلوا جهدهم في السهر على رفاهية الشعب المختار (3).

- التوراة: التوراة كلمة عبرية مشتقة من الآرامية تعني الشريعة، ويطلق عليها أيضاً أسفار موسى الخمسة، لأن موسى بحسب التقليد، هو المشترع والوسيط الذي على يده حصل إسرائيل على هذه الشريعة، وتحتوي شريعة موسى من جهة على روایات وتقاليد قصصية، ومن جهة أخرى على

(1) كارل ماركس: « حول المسألة اليهودية»، دار الحقيقة، بيروت (بدون تاريخ)، ص 76.
(2) البان ج. ويجيري: «المذاهب الكبرى في التاريخ»، ترجمة: ذوقان قروط، دار القلم، بيروت 1979، ص 122.
(3) «الكتاب المقدس»، العهد القديم، دار المشرق.
اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

شرائح بحفر المعنى وتقاليد اشتراكية أثرت في مراحل تكوين شعب إسرائيل.

أما عنوان أسفار التوراة الخمسة التي تكوّن التوراة، فهي مترجمة عن اليونانية، وتشير إلى محتوياتها، فهناك تكوين السماء والأرض وخروج بني إسرائيل من مصر، ودور الأحبار في تشريع العبادة، وإحصاء عدد الأسباط، وثنية الاشتراك وهي تكرار للشريعة. لكن التقليد العبري يكتفي بتسمية كل من الأسفار الخمسة بأول كلمة عبرية منها. فهذه الشريعة ولهذا التاريخ وحدة عميقة(1). والأسفار الخمسة تشكّل مجموعة روحية متماسكة ترتبط حول بعض المواضيع الكبرى: التكوين أو الخلق، الخروج، اللاويين أو التوابين، الأخبار، العدد، التثنية، ويطلق عليه اسم أسفار موسى.

- أسفار موسى (2)

1 - سفر التكوين: وفيه تاريخ بداية الخليفة وتاريخ العالم حتى عهد النبي يوسف، وهو سفر تاريخي فيه أقاصيص وعبر تحكي هجرة أجداد العبرانيين إلى فلسطين ثم إلى مصر.

2 - سفر الخروج: وفيه تاريخ اليهود منذ خروجهم من...

الكتاب المقدس: العهد القديم، (المرجع السابق)، ص 60.
الكتاب المقدس: المرجع نفسه، ص 60.

(1) (2)
تاريخ اليهود السياسي

مصر، وفيه مختصر الشريعة التي لقنهم فيها موسى
شريعته في جبل سيناء ومن ضمنها الوصايا العشر.
3 - سفر اللاويين (التوابين): ويحتوي على طقوس الكهنة
أبناء لاوي وفيه العبادات والأخلاق والنكاح وغير ذلك
من شرائع اليهود.
4 - سفر الأعداد: وفيه إيضاح لتجوال إسرائيل في الصحراء
وغرزهم أرض كنعان وتقسيم الأراضي بينهم
وتعدادهم.
5 - سفر التثنية (الاشتراع): وفيه عرض تاريخي سريع،
ونصوص أخلاقية وتشريعات خاصة، وتبريكي موسى
لقوه ثم وفاته، وأرض الميعاد على مرأى عينه.
6 - أسفار الأنياب: نوعان:
- أسفار الأنياب المتقدمين وتناولت تاريخ اليهود منذ دخول
يوشع فلسطين حتى هدم الهيكل: يشع بن نون، قضاء،
صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملك الأول، الملك
ثاني.
- أسفار الأنياب المتأخرین: أشعياء، إرميا، حزقيال،
هوشع، يوشع، عاموس، عوبدية، يونان، يونس، ميخا،
حقوقه، صنيا، حجي، زكريا، ملاخي (1).

الtörاة أول كتاب سماوي فصلت فيه الأحكام. يعترف

(1) هنادي الحاج: "الآدیان..." (المراجع السابق)، ص ص 23-24.
الإسلام بالتوراة التي أنزلت على موسى، ولا يعترف بسوها من أسفار العهد القديم. ويقر التاريخ أن موسى كتب نسخة التوراة وضعها مع اللوحتين والتابوت.

أما التوراة المتداولة في الوقت الحاضر فقد دُوِّنت بعد إبراهيم الخليل بـ 1300 عام، وبعد عهد موسى بأكثر من 700 عام، وهي بالطبع غير التي نزلت على موسى، لأن التوراة المتداولة اليوم محرفة وأضيف إليها ما اتفق مع رغبات ونزعات وميول الكتبة مارة بعدة أدوار من الرواية الشفوية.

وما في التوراة من طقوس ووصايا مأخوذ كله عن المصريين مما يدل على أن كاتبيها غلبت عليهم الديانة المصرية، لأنهم بعد أن انحرفوا معتقدات اليهود وطبلائهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية وكتبوا غيرها مما يتناسب وما يريدون من تاريخ وعقيدة.(1)

ومن المؤكد أن محاولات روايتها لم تبدا إلا بعد السي البابل في القرن الخامس قبل الميلاد. ظلت هذه الشرائع تروى بلا رقيب ولا حسب، وتسودها الفوضى حتى القرن الأول قبل الميلاد، حتى بعد أول جهد في إقرارها من قبل اليهودي هليل رئيس المجلس الديني الأعلى أيام

عبد الرزاق محمد أسود: "الأديان والمذاهب"، (المرجع السابق)، ص ص 160-161.
تاريخ اليهود السياسي

(هيرودوس) الذي خطط لتقسيم هذه المرويات إلى أقسامها السنتة. ثم جاء من بعده من نظم التفاصيل الجزئية، وأكمل نصوصها وأضاف إليها مزيداً من الأحكام.

أما الذي دوّنها كتابة في وضعها المعروف فهو «يهودا هاتاس» في نهاية القرن الثاني الميلادي (1).

وتوراة عند عرضها للحوادث التاريخية، لم تحدد التسلسل الزمني، ولم تنقسم الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك لكي يلتبس الأمر على القارئ، فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها.

والأرجح أن مدوني التوراة تعمدوا ذلك لتترك المجال لإرجاع تاريخهم، وهم بقايا بيت يهوذا، إلى أزمة قديمة لم يكن لهم أية صلة بها، فخلطوا بين أدور تفصل بينها عدة قرون، إذ ربطوا أحداثاً تعود إلى عصور متباعدة وعذوها عصراً واحداً.

وعلى سبيل المثال، ذكروا في التوراة أن إبراهيم الخليل ذهب إلى «أيماكل» ملك الفلسطينيين في جرار وغَرب في أرضهم، ومثل ذلك ورد عن ابنه إسحاق وصلته بأيماكل المذكور. هذا في حين أن عهد إبراهيم الخليل كان يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، بينما يرجع عصر الفلسطينيين الذين سمي أرض فلسطين باسمهم إلى القرن الثاني عشر.

(1) عبد الرزاق محمد أسود: (المرجع نفسه)، ص 161.
قبل الميلاد. وهذا ما يجعل فاصلاً بين عهد إبراهيم الخليل.
وعهد الفلسطينيين يمتد حوالي سبعة قرون من الزمن (1).
والغاية الأساسية التي كان يرمي إليها مدوّنو التوراة من
وراء ربط عصر اليهود بعصر إبراهيم الخليل وتأكيدها ذلك
مراراً في سفر التكوين هي إرجاع تاريخ بقايا بيت يهوذا
وعزو نسبهم إلى إبراهيم الخليل مباشرة، واعتبار إبراهيم
الخليل الذي كانت قد انتشرت شهرته في الآفاق في تلك
الأزمان كني عظيم رئيسهم الأعلى قبل أن يظهروا على عالم
الوجود. وهذا يفسر لنا كيفية شيع التقليد الذي تؤده
الكتبات اليهودية، قديماً وحديثاً، أن إبراهيم الخليل غادر
العراق ومعه اليهود إلى فلسطين، في حين أن اليهود ظهروا
بعد إبراهيم بأكثر من ألف عام. وقد قتلت الأجيال ذلك من
غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب
توازنه.

- التلمود: هو رواية شفوية تناقلها الحاخامات حتى
جمعها الحاخام (يوحنا) سنة 150م، في كتاب أسماء
المشنا، أي الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالأيضاح
والتفسير. وقد أتم (الراباي يهوذا) سنة 162م، تدوين
زيادات وروايات شفوية. وقد تمّ شرح هذه (المشنا) في
أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرجع السابق)، ص 181.
كتاب سميّ "جمارا"، ومن المشنا والجمالا يتكوّن التلمود، ويحتل منزلة التوراة(1).

يعتبر كتاب التلمود عند اليهود جزءًا من أحكام الديانة اليهودية. ويشمل مجموع المناقشات الدينية الأولى مع شروح لرجال الدين، فيه القوانين اليهودية، من قانون عقوبات وقوانين مدنية.

وأصل كلمة "تلمود" في العبرية "اللامدا" أي يعلم. ويزعم اليهود أن هذه التقاليد والتعاليم ألقاها شفاهية النبي موسى على شعب حين كان على الجبل، وأعطيت لهم ثم تداولها هارون وأليعازر ويوشع وسلموها للأنبياء. ثم انتقلت منهم إلى أعضاء المجتمع العلمي الأعلى وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح(2).

وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوّق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض، وجعل الناس عبيداً لليهود على اعتبار أنهم شعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض، كما تجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيارات الأرض التي وهبها له إلهه.

(1) هنادي الحاج: "الأديان..."، (الرجع السابق)، 26.
(2) عبد الرزاق محمد أسد: "الموسوعة الفلسطينية"، الدار العربية للمعلومات، المجلد الأول، ص 91.
اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

الخاص دون الآخرين من الناس (1). لذلك كانوا حريصين أن لا ي يتعلق على التلمود غيرهم إلا من يؤمنون جانبه من غير اليهود ممن يؤيد نزاعاتهم وميلهم خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضد اليهود. وقد أخفوه أربعة عشر قرنًا منذ أن وضعه خاقامهم. ففي سنة 1242م، أمرت الحكومة الفرنسية في باريس بإحراق التلمود علناً، وقد تمّ حرقه عشرات المرات في مختلف الأزمان والأقطار.

واستغل كثيرون من اليهود بالفلسفة بروح حرة في زمن العرب، واهتم آخرون في شرح التوراة والتلمود على أساس عقلي. فشيّر الأخيارون إلى أن حاخامًا من حاخامي العراق اسمه `حنان بن داود`، ثار على التلمود ودعوا للاكتفاء بالتوراة، وأنشأ في بغداد العباسية طائفة يهودية جديدة هي القرائية، بلغ عدد أتباعها نحو عشرة آلاف شخص (2).

لقد عاش اليهود مرحلة مخاض طويلة بين التعددية والتوحيد دامت حوالي أربع مئة سنة. وكانت الصعوبة عندهم تتمثل بتحصین الإله أي المحاولات الأولى إلى تجريدنه.

محمد مراد: "المدارس التاريخية الكبرى، مكتبة الفقيه، بيروت 1996، ص 50.
جبران نقولا: "في العالم اليهودي، فلسطين"، القدس 1935، ص 16.

(1)
(2)
والفعل فقد انقسم اليهود حول اسم الإله إلى فئتين أو إلى اتجاهين: الأول يمثل الموحدين الذين نادوا بالرب الإله خالق السموات والأرض وهو الله وحسب. والثاني يمثل التعدديين الذين تحولوا إلى التوحيد وذلك في مرحلة انصر فيها أحد الآلهة على الآخرين. من هنا تعددت أسماء الآلهة في التفسيرات اليهودية المختلفة، إيل: أي الله الخالق للسموات والأرض، إيلوهيم: أي الآلهة بصيغة الجمع، أدوناي أي سيدي، ويهوه وهو اسم أحد الآلهة القبلية عند العبرانيين (1).

(1) محمد مراد: «المدارس التاريخية الكبرى»، (المرجع السابق)، ص ص 43-44.
الفصل الثاني

فلسطين والغزوتين الخارجية قبل الميلاد
الغزو الآشوري

وسقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا

عندما بدأ عهد يربعام (933-912م)، اندلع القتال اليهودي اليهودي، بين القبائل اليهودية الشمالية والقبائل اليهودية الجنوبية. وفي عهد «أحاز بن ويثام» ملك أورشليم قتلت إسرائيل من يهوذا مئة وعشرين ألفاً في يوم واحد وسبعين مثلي ألف شخص منهم إلى السامرة عاصمة إسرائيل حينذاك، نهروا أملاكمهم، بعد أن كان بنو إسرائيل قد طوروا حالهم، حيث كانت أورشليم من أشهر المدن، نشنت شملهم وذاقوا الذل والهوان عند باقي الشعوب الوثنية.

وفي سنة 732م، قام الملك الآشوري «تجلات بلاهر الثالث» بحملة عسكرية على مملكة آرام، فاستولى على عاصمتها دمشق، ثم توجه إلى إسرائيل فاستولى على كل أراضيها في عهد ملكها «فقح» (739-731م)، وسبى...

حسن زعور: «سفي داورد...»، (المرجع السابق)، ص 166.
اليهود إلى آشور، وأحل محلهم سكانًا من أقاليم أخرى تاركة لخلف "فوقه" الملك "هوشع" مدينة السامرة. وقد قام تجلات بلاشر الثلاث الآشوري بهذه الحملة استجابة إلى طلب "آخاز بن يوثام" ملك يهوذا (735-715 ق.م) من القائد الآشوري لإنقاذه من ضغط الملك "رحين" ملك دمشق، والملك "فوقه" ملك إسرائيل، وقدم ملك يهوذا إلى آشور كميات كبيرة من الفضية والذهب.

ويأتي للختة التي سار عليها "تجلات بلاشر الثالث" أجلبى "سرجون الثاني" 27280 شخصًا من اليهود إلى بلاد آشور، وأسكنهم في خلاج، وعلى ضفة الخابور، نهر جوزات بالقرب من حاران في الشمال الأقصى لبلاد ما بين النهرين، وفي مدن ميديا شرق بلاد ما بين النهرين. وقد أسكن محلهم العرب سنة 715 ق.م، وبعض الأهالي من كوثا وبابل سنة 709 ق.م.

بعد سقوط مملكة إسرائيل، بقيت مملكة يهوذا تنتظر...

(1) سفر الملوك الثاني 16/19-17-9.
(2) سهيل ذيب: "التموذج بين الوثنية والتوحيد"، دار النفيس، بروت 1985، ص 76.
(3) فليب. ل. توميسون: "هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين، القدس، أورشليم العصور القديمة بين التحول والتأرجح"، مركز دراسات الوحدة العربية، بروت 2003، ص 33.

80
دورها. ولكن "حزقيا" ملك يهوذا بدأ يعد المؤامرة على
الملك الآشوري سنة 715 ق.م، واتصل بفرعون مصر
لمساعدته. وقد بعثت مصر بجيش من المصريين والأثيوبيين
فاستولوا على عسقلان، ثم اتجهوا شمالاً للاتصال بقوات
حزقيا، ملك يهوذا، إلا أن "سنحاريب" ملك الآشوريين
قابلهم وانتصر عليهم، ثم توجه إلى عقرون فهدما وأخذ
يحتل مدن يهوذا الواحدة تلو الأخرى، باستثناء مدينة
أورشليم. ونقل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور سنة
1071 ق.م، ولكنه احتفظ بعرشه بعد أن دفع الجزية، واعترف
بقيادة الآشوريين، وبقي هذا الاعتراف حتى انهيار الدولة
الآشورية حيث ولدت الدولة البابلية الكلدانية على
أنفاضها. وقد أخذت مصر تحرض الشعوب التي تعيش
تحت إمرة الدولة الكلدانية الجديدة على الثورات ضدها
محاولة إسقاطها، مما دفع "صيدقيا" ملك يهوذا سنة 589
ق.م إلى الالتحاق بالصليبيين بتحريض من "حوفراء" ملك
مصر، حيث رفض ملك يهوذا الولاء إلى "نبوخذ نصر"
الكلداني، وهكذا فقد وضع "صيدقيا" مصيره مع مصر.

فيليب حتى: "تاريخ العرب"، دار غندور للطباعة والنشر، بيروت،
ص 71.
توماس تومبسون: "القدس، أورشليم المصري القديمة بين التوراة
والتاريخ"، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية,
بيروت 2003، ص 118.
فغضب نبوخذ نصر غضباً شديداً وزحف وجميع جيوشه على أورشليم وحاصرها سنة 587م. وينبغي حولها تهديدات (1). إلا أن دخول «حوفراء» ملك مصر إلى فلسطين دعابابليين إلى رفع الحصار لمحاربته، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم، ولكن بعد أن تمكن البابلون من صد المصريين وأرجعوا على أعقابهم، ثم أعادوا بسط الحصار على أورشليم، ولم يمض وقت طويل حتى تفشئت المجاعة والوهاء في المدينة، مما اضطر اليهود إلى أن يرضخوا ويستسلموا، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز سنة 586م.

أما صديقيا، فهرب وهو وأفراد عائلته. ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه إلى «ريله» مقر معسكر الملك نبوخذ نصر، وهناك ذبح أولاده أمام عينيه، ثم فشلت عيناها، وأخذ مكبلًا إلى بابل، وقد قدر عدد الأسرى الذي سيقوا إلى بابل ليلحقوا باليهود من السبي الأول بحوالي 50,000 شخص (2).

لقد تم القضاء على مملكتي إسرائيل ويهودا، وقد كان عدد الملوك الذين حكموا في كل منهما عشرين ملكاً، فدام حكم إسرائيل 209 سنوات وذلك بين سنة 931 وqcأ. (1) سفر الملوك الثاني: 24/19-25/15.
(2) أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرجع السابق)، ص 315.
و472 ق.م. وقد دام حكم يهوذا 345 سنة وذلك بين سنة 
(931 و864 ق.م). 

وبعد وفاة نبوخذ نصر سنة 562 ق.م. خلفه على العرش 
ملوك ضعفاء حتى سقطت الدولة الكلدانية بيد الملك الفارسي 
فخرخ، الذي استولى على بابل.

الهويود خلال الحكم الفارسي

استفاد اليهود أثناء وجودهم في السبي في بابل من 
حضارة البابليين وثقافتهم، فاقتبسوا الكثير منها خصوصاً ما 
يتعلق بفنون الزراعة والتجارة. فأخذ أكثرهم يمارسون 
الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم بما في ذلك أساليب 
شق الجداول وتطهيرها وطرق الإرواء. وفي بابل مارسوا 
شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم ومنها كان نشوء 
التعليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي، بحيث إن 
السبي البابلي كان عاماً قوياً في تطور الدين اليهودي في 
القرون التالية.

أحمد سوسة: «العرب واليهود»، (المرجع السابق)، ص 316. 
عباس محمود العقاد: «الصهيونية وقضية فلسطين»، منشورات المكتبة 
المصرية، بروت – سيدا، (بدون تاريخ).

أحمد سوسة: «العرب واليهود»، (المرجع السابق)، ص 324.
بعد وفاة نبوخذ نصر سنة 625ق.م، خلفه على العرش ملوك ضعفاء حتى سقطت الدولة الكلدانية بيد الملك الفارسي قورش (539-522ق.م)، الذي استولى على بابل. ثم سار في فتوحاته حتى احتل سوريا وفلسطين ومن ضمنها أورشليم. وقد اعترفت تلك المناطق بالحكم الفارسي الجديد. وأصبحت دولات سورية وفلسطين جزءاً من امبراطورية عظيمة تعتبر من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم.

وشهدت فلسطين من بداية حكم الفرس لها رجوع بعض اليهود السبي من بابل. فقد أصدر قورش مرسوماً بعد احتلاله المدينة يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين. وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذ نصر. وقد عاد حوالي خمسين ألفاً إلى فلسطين، حيث احتدم النزاع بين العائدين والمقيمين، سواء أكان بسبب السيطرة على الأرض أو من أجل الوصول إلى السلطة. والذي زاد الأمور تعقيداً هو أن بعض العائدين قد تركوا زوجاتهم في بلاد فارس.

(1) منتير ماشوش: «الصهيونية»، دار المسيرة، بيروت 1979، ص 10.
(2) أحمد صديق الدهمان: «نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين»، مجلة شؤون فلسطين، العدد 77/1978، ص 122.
(3) موريس دونان: فيبيلوس، تاريخه وآثاره وأساطيرها، ترجمة: أنيس عكره، منشورات ميادون جيل - لبنان 1998، ص 36.
واتخذوا لأنفسهم زوجات وثنيات من أرض فلسطين نفسها، مما هيأ عودة عبادة الأولوان من جديد (1).
وكان زعيم اليهود العائدين بروفو بابل، وهو من سلالة أحد ملوك اليهود. وقد أرجع معه كنوز الهيكل التي نهبها نبوخذ نصر. واعترفت به الجماعة العائدة حاكماً عليها لبعض الوقت. فشرع بروفو بابل في بناء الهيكل إلا أن الأقوام المجاورة كالحوريين والحشيين والأدوميين احتجوا على ذلك وهددوا بالعصيان، فأصدر سحر دبى خلف قميص الثاني سنة 525م. أمراً بتوقف عملية البناء. ولكن داريوس أتاح لهم ذلك، وأتموا بناء الهيكل على عهده سنة 515م. على نفقة الدولة، وأحاط الهيكل بسور.
ولما عاد الإسرائيليون من بابل تحت قيادة بروفو بابل أطلق اسم يهودا على المكان الذي عادوا إليه وسموا أنفسهم اليهود لتمييزهم عن سواهم من الإسرائيليين، وقسموا المنطقة إلى أربعة أقاليم، وصارت أشبه ما تكون بالجمهورية منها بالملكية، يحكمها حاكم كبير بإمرته مكون من (72 شخصاً). بقي في ظل هذه المملكة، وتحت حماية الدولة الفارسية (2).

(1) كمال الصلبي: للتوراة جاءت من الجزيرة العربية، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، ص 43.
(2) عبد الرزاق محمد أسود: الموسوعة الفلسطينية، (المرجع السابق)، ص 17.
وفي عهد أرتحشتنا الأول (465-424ق.م)، عاد فريقان آخرون من اليهود المسبين أحدهما برئاسة نحمياً والآخر برئاسة عزراً. ويلفت النظر البرنامج العنصري الذي سارا عليه، وأدخلوه العبادة الدينية، والذي كان منه ووجب طلاق الزوجات غير اليهوديات، وإعلان أبنائهن غير شرعيين.

وحلت اللغة الآرامية محل اللغة العبرية كلغة دارجة، وفِي المراسلات الرسمية بين اليهود، وظلت العبرية تستعمل كلغة دينية.

1. استمر الحكم الفارسي لفلسطين والمنطقة نحو قرنين.

وقد استطاع أن يستمثِّل إليه أهل البلاد بما وفر من استقلال نسبي للفهم، وما حققه من تنظيم، حيث عبد الطرق ونظم البريد ووصف النقود. بقي اليهود في حماية الدولة الفاسية حتى أغار عليهم الإسكندر المقدوني. ولما وصلت جيشه إلى مشارف مدينة أورشليم خرج إليه الحاخام الأكبر في موكب واستقبله استقبالاً كريماً.

أحمد صديق الدجاني: فنظرة تحليلية في تاريخ فلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، (المراجع السابق)، ص 123.
الإسكندر المقدوني في فلسطين

في العام 332 م، وجه الإسكندر المقدوني أنظاره نحو الشرق لغزو الامبراطورية الفارسية، واستطاع أن يحقق ذلك، حيث كانت نهاية الحكم الفارسي في فلسطين ومنطقة. لقد خرج الإسكندر المقدوني على رأس جيش يراوح عدده بين ثلاثين وأربعين ألفًاً، من قبرص وهاجم الامبراطورية الفارسية، حيث عبر مضيق الدردنيل إلى آسيا الصغرى، ومنها إلى كليكي، ومناطق السهول حيث انتصروا في معركة أبسوس عام 323 م، على داريوس الثالث انتصارًا حاسماً. وتخلدًا لهذا الانتصار أمر ببناء مدينة الإسكندرية. ثم اندفع باتجاه الجنوب، فاستسلمت له المدن الفينيقية الساحلية حتى وصل إلى صور التي قام بتصرفها، حيث فتحها بعد سبعة أشهر وانتقم من أهلها. وفتحت الطريق أمامه إلى ساحل فلسطين فاحتله حتى وصل إلى غزة التي قام بتصرفها ببطولة وصمم شهرين

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى: "اليونان، مقدمة في التاريخ الحضاري"، دار النهضة العربية، بيروت 1979، ص 186.
 أمام حصاره المحكم لها(1). ثم دخلها الإسكندر مصاباً بجروح طفيفة، ونُقلت بأهلها واستولى على كنوزها وثرواتها، واستكمل سيطرته على فلسطين. ولما وصلت جيوشه إلى مشارف مدينة أورشليم، خرج إليه الحاخام الأكبر في موكب واستقبله استقبالاً كريماً وأدخله المدينة بسلام. وأطعمه على نبوءة تقول، إن الإسكندر سيغلب الفرس، لذلك فرح الإسكندر وعامل اليهود بالحسنى وعفاههم من الضرائب سبع سنين(2). وعندما مات الإسكندر في 323ق.م قسمت مملكته الواسعة إلى عدة ممالك، وانتقل حكمها إلى قواد(3). وكانت فلسطين من حصة القائد «الاميدون»، وانطوت هذا التساقط على حروب طويلة دامية برز من خلالها أربعة قواد على رأس أربع دول هم (بطليموس) في مصر، وسلوقس في مرزبانه بابل التي تضم سورية، وإنفوس في آسيا الصغرى، و (أنتيباتز) في مقدونيا، وقد نجح بطليموس في أخذ فلسطين.

محمد عبد السلام كفافي: «في أدب الفرس وحضاراتهم»، بيروت 1967، ص 146.
أحمد صديقuddو: "نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين"، (المراجع السابق)، ص 124.
جون سترينج: «الملك هيرود وأورشليم، كتاب القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 147.
من لاميدون، وغزا أنتيفوس سورية واستولى عليها ووصل إلى غزة، فدمّر اليهك، ونهب خزائنه وأجبر اليهود على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية. وأمر أن ينصب تمثال "جيوبيري" في وسط المعبد اليهودي، وأن يفخخوا بالخنازير، وقتل منهم عدداً كيراً.

حيال ذلك أخذ الصراع بين اليهودية والإغريقية يشتد يوماً...

بعد يوم حتى اندلعت ثورة المكابيين.(1)

وقد نظم يهوذا وأخوته عصابات غير نظامية تعمل في التلال وتتجنب المواجهة المباشرة مع قوات الحكومة. وقد نجحت هذه العصابات في إنزال ضربات قتالية بجنود أنتيفوس، وكان أولها تصديهم لحاكم نابلس "أبولونيوس" وقتله. وبعد عدة معارك نجحت في السيطرة على القدس.

فظهر اليهود هيلكلهم وأعادوا المذابح اليومية.

وقد كانت ثورة المكابيين في بداية ذات طابع ديني ولم تلبث أن تطورت إلى ثورة سياسية، وقد توجهت في وقت واحد ضد القوات الحكومية، وضد أنصار الثقافة الجديدة "الهليستية" من اليهود، وانتصرت في المجالين.

ويلاحظ أن الدولة السلوقيّة كانت قبل نشوء هذه الثورة

(1) وليم لانجر: "موسوعة تاريخ العالم"، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة التهيئة المصرية 1954، ص 71.
قد بدأت تعاني الضعف، وأصبحت بهزيمة على يد الدولة الرومانية الغنية في آسيا الصغرى، واضطرت في عام 188 ق.م إلى التخلي عن ممتلكاتهم وراء جبال طوروس (1). وهكذا استطاع المكابيون فرض وجودهم في فلسطين، وانتخبوا سمعان شقيق يهودا كاهناً أعظم وحاكماً سنة 141 ق.م. ولم يجد الملك السلوقى ديمتريوس الثاني مناصراً من الاعتراف بالأمر الواقع، فمنح اليهود من شعب فلسطين الاستقلال تحت حكم سمعان، وباقي هذا الوضع حتى جاء الرومان بعد ثمانين سنة، حيث فقت البلاد استقلالها على يد القائد الروماني بومين الذي استولى عليها عام 63 ق.م وجعل مملكة يهودا إقليمًا رومانياً (2).

أحمد صديق الدجاني: "نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين"، (المرجع السابق)، ص 126.

عبد الرزاق محمد أسود: "الموسوعة الفلسطينية"، (المرجع السابق)، ص 18.
اليهود خلال الوجود الروماني

في سنة 64 ق.م. احتل القائد الروماني (بومبي) سورية بعد تغلبه على السلوقيين وضمها إلى روما، وفي السنة التالية دخل بومبي أورشليم وجعلها تابعة لحاكم سورية الروماني، وأصبحت فلسطين تحت الحكم الروماني. ولم يكن اليهود في هذا العهد أحسن حالاً مما كانوا عليه في العهد اليوناني نتيجة تدخلهم في الصراعات القائمة بين الزعماء الرومان على الحكم.

لم يكن بومبي يثق باليهود، وكان على علم بمؤامراتهم فعمد إلى قتل الكثيرين منهم واصفاً إياهم بالمشاغبين، ثم حظمت أسوار القدس، فكان ذلك نهاية الدولة اليهودية. ونتيجة عدم اطمئنان بومبي إلى اليهود عمد إلى فصل أجزاء واسعة من الدولة اليهودية وضمها إلى سورية. وفي عهد قيصر (49-44ق.م)، كان اليهود يتمتعون بحرية شعائرهم.

1. مير ماشو: "الصهيونية...", (المرجع السابق)، ص 11.
2. موريس دونان: "اليهود...", (المرجع السابق)، ص 39.
الدينية، وبحكم كهني ذاتي، ثم بعد اغتيال قيصر سنة
44 ق.م. نشب خلاف بين أوركتافيان وانطونيوس أدى
إلى القتال بينهما سنة 30 ق.م انتصر فيه أوركتافيان، فتولى
زمام الحكم بصفته أول امبراطور روماني، وسمى
أغسطس. وفي هذه الحالة كان انطونيوس وأوركتافيان
قبل نشوب الخلاف بينهما قد عينا هيرودس ملكاً على
يهوذا وعلى الجليل سنة 39 ق.م. (1). خلال ذلك لم يهدأ
اليهود رغم الأثمان المرتفعة التي دفعوها نتيجة المؤامرات
والدسائس التي يقومون بها، وبدائل التحالفات مع القوى
كعادتهم، دفعهم باتجاه الفرس من جديد، فاتصالوا بهم
ودعوهم لاحتلال بلادهم تخلصاً من نير الرومان، فكان أن
أقدم الفرس على احتلالها وعينا جونوس المتحالف معهم
ملكًا على أورشليم فيما هرب هيرودس إلى روما (2).
وبدع ستين قدم الرومان بقوات كبيرة فطردوا الفرس،
وعمد هيرودس إلى قتل أعداد كبيرة من اليهود انتقاماً لما
فعلوه، واستمر حكمه في فلسطين حتى وفاته سنة 4 ق.م.
وبدع وفاة هيرودس اضطربت الأحوال على يد موظفين

مصطلفي العبادي: (الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري
و مصر الرومانية)، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 113.
حسن زعور: «سيد داود...»، (المرجع السابق)، ص 170.

(1) (2)
فلسطين والغزوات الخارجية قبل الميلاد

رومانيين، قصاة التصرف، ومن أهم ما تخللته هذه الفترة ولادة السيد المسيح (ع).
ثم عين "هيرودس أغريبما الثاني" حفيد هيرودس ملكاً على فلسطين في عهد الامبراطور كاليجولا (37-41م)، وبعد وفاته عادت الفوضى. بعد ذلك تولى سبعة من الحكام الرومانيين (44-66م) الحكم، كلهم مرتشون مما ساهم في الانفجار سنة 66م عبر ثورة شاملة على الحكم الروماني (1).
غير أن الرومان دخلوا أورشليم سنة 70م، وأحرقوا معدهم وذبحوا اليهود وباعوا من بقي منهم حياً (2).
وبعد أن نهضت أورشليم وعمرت بالسكان ثار اليهود مرة ثانية بقيادة باركوخيا أحد زعماء اليهود، فاعتزمت جماعته في المواقع الجبلية الحصينة، وأخذوا يقاتلون قتال حرب عصابات، وظلوا محصينين بمواقعهم ثلاث سنوات (132-135م). وكان رد الملك الروماني هادريانا قاسياً عليهم من خلال حملة اجتاحت مواقعهم وأزالت قلاعهم.

(1) واليم لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، مكتبة النهضة العربية، ص 72.
(2) شوقي ضيف: "العصر الجاهلية"، دار المعارف، القاهرة 1960، ص 97.
وأحرقت قراههم، وهدم مدينة أورشليم وذبح نصف مليون يهودي، وباع وشرد الباقين في جميع أرجاء المملكة. وأصبحت مدينة أورشليم مستعمرة رومانية وحَرَمَ على اليهود السكن فيها(1). ثم أسكن جالية رومانية ويونانية في أورشليم، وأقيمت في محل الهيكل معبد للإله اليوناني "جوبيتر". وهذه هي الضربة الأخيرة لليهود في فلسطين، فلم يعد لهم أي كيان فيها طوال العصور التالية(2).

ومنذ القرن الأول للميلاد، تمزق شمل اليهود، وانشقت عصا وحدتهم. وغادر اليهود فلسطين وترققوا فجمعية منهم حلت في مصر، وأخرى نزلت العراق والحجاز واليمن، وقصدت أخرى بلاد الأفغان، وهب آخرون بلاد الهند والصين، ومنهم من انتقل إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنكلترا.

يدل مما تقدم، على أن أهل فلسطين الأصليين بقوا في أراضيهم منذ خمسة آلاف عام، ولم يغيّر حكم داود

(1) وست غراب: "الجماعات الأثريّة في أورشليم"، كتاب القدس أورشليم العصور القديمة بين النوبة والتاريخ، ترجمة: نَراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003، ص 233.

(2) مصطفى العبادي: "الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية"، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 133.
وسليمان الذي لم يظل أكثر من ثمانين عامًا أو حكم إسرائيل.

ويهودا الهزيل شيئًا وهذه هي الحقيقة التاريخية الواقعية (1). إن اليهود لم يتركوا أي كان سياسي يهودي خاص بهم في تاريخ فلسطين القديم، ولكنهم تركوا دياثة يهودية متاخرة مقتبسة من تراث كنعاني وبابلي وآرامي. أما الأمر الثاني فهو، أن كيان إسرائيل كان قائماً على الاغتصاب والاعتداء على شعب أمن له ثقافته وتقاليده وحكمه، وهذا الشعب كان في أرض فلسطين منذ خمسة آلاف عام. وقد جاء قوم موسى عازمين على طرد هذا الشعب من دياره، ليحلوا محله، زاعمين أن إلههم (يهوه) أمرهم بأن يبيعوا هذا الشعب ويحلوا محله، وأن الرعب وعدهم بأنه سيحارب بنفسه من أجل تحقيق ذلك لهم. وهذا الشعب العربي بقوميته وتراثه لا يمكن أن ينسى أن هذه الأرض هي أرض أجداده منذ أقدم الأزمنة اغتصبت منه (2). هذا عدا ادعاء اليهود بالاستعمار والتفرقة على بقية شعوب الأرض، وأن الله جعلهم الشعب المختار، وجعل الناس عباداً لهم مما كان له أثر في بعث النفرة والكراهية والانعزالية بينهم وبين سكان البلاد التي يعيشون فيها.

(2) أسعد رزوق: «إسرائيل الكبرى»، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968، ص 294.
الفصل الثالث

السلوك السياسي ليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية
يهود الخزر

قامت مملكة الخزر اليهودية في جنوب روسيا سنة 740م. في منطقة القوقاز في المنطقة الممتدة بين نهري الفولغا والدون، وحتى شواطئ بحر الخزر (بحر قزوين) والبحر الأسود.

وقد اعترف أكثر سكان الخزر الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد أمير الخزر "بولان"، وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية حتى أواخر القرن العاشر الميلادي.

وبعد "بولان"، كان أول "خاقان" خزري يتم ذكر اسمه عبرياً لنفسه هو "أوبادياه" (إبنه)، الذي قرر أن لا يرتقي عرش الخزر إلا من يعتنق الديانة اليهودية، ومن ثم أقبل كثير من رعاياه على اعتناق تلك الديانة حتى يكونوا قرئين من سدة الملك.

نص شمالي: "ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، مكتب الخدمات الطبية، دمشق، ط 1، 1984، ص 114.

عبد الرزاق محمد أسود: "الموسوعة الفلسطينية. 4"، (المراجع السابق)، ص 33.

عبد الرحمن شاكر: "دولة الخزر الجديدة، إسرائيل"، دار مصباح الفكر، ط 1، 1981، ص 13.
والخزر كانوا قبيلة تركية، انطلقت من الاستبس في القرن الخامس الميلادي. أما عن العوامل التي جعلتهم يعتمدون اليهودية، فتعود إلى الحرص على الاستقلال إزاء القوتيين العظميين المتمثلين بالمسحية والإسلام، واللتين كانتا تستقطبان العالم. وأن صلات الخزر الوثيقة ببيزنطة وحاضرة الخلافة قد كشفت لهم أن عقيدتهم الشامانية البديائية (الوثنية)، لم تكن همجية ومتخلفة عن مقتضيات عصرها فحسب، ولكنها كانت أيضاً عاجزة عن إضفاء الهيئة الروحية والشرعية على رجال الحكم. كما هو حال رجال الحكم المسيحيين والمسلمين، ونتيجة الخوف من الذوبان، وفقدان الاستقلال، اختاروا العقيدة الثالثة اليهودية غير التابعة لأي من القوتيين العظميين.

ازدهرت مملكة خزريا في ظل الديانة اليهودية بفضل تجارتها الواسعة على ضفاف بحر قزوين (بحر الخزر) في عاصمتهم «إيل» على مصب نهر إيل (الفولجا). وكانت تشمل إلى جانب السجاد العجمي، تجارة الرقيق، خصوصاً للحكام العرب. وبلغ من قوة هذه الدولة اليهودية الكبرى في التاريخ أنها دخلت في معارك حربية مع البلاد العربية الإسلامية

(1) نصر شمالي: ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية (المرجع السابق)، ص 115.
السلوك السياسي لليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية

الناشئة في عهد كل من يزيد بن سبيسة ومروان بن الحكم حول منطقة القوقاز التي تشمل جرجان (جورجيا حالياً)، وأرمينيا، وقد استطاع مروان بن الحكم ردعهم عنها إلى ضفاف الفولجا\(^{(1)}\).

ولم تدم المملكة اليهودية في الخزر حيث جاءت حملة الروس بعد حوالي القرن ونصف القرن من دخول اليهودية إليها، وقضت على المملكة بأكملها وشردت أهلها، فانتشر اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية\(^{(2)}\).

فقد هاجر يهود الخزر بعد التدمير الكامل لتجمعاتهم، نحو مناطق انتعاش الاقتصادي الجديدة، في الطريق التجاري بين اتحاد المدن التجارية وبين روسيا، أي في بولندا، وفي شرقي ألمانيا، وفي روسيا، ودول البلطيق.

تجرد الإشارة إلى أن الذين قضوا على دولة خزريا كانوا أمراء «كيف» الفرغانيين، أي من «فرغانة»، في غرب سيبيريا، وهو الأصل نفسه الذين قضوا منه الخزر، وأولهم كان «روريب» الذي أقام بين قبائل الرس السلافية في عام 855م. وكانت تلك هي بداية مولد الدولة الروسية. وفي عام

نص شمالي: ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، (المرجع السابق)، ص 115.
عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية . . .»، (المرجع السابق)، ص 33.
تاريخ اليهود السياسي

656م، استولى أحد خلفائه وهو الأمير «سفيتوسلاف» على قلعة «ساركول» الخزرية. وفي عام 969 استولى على «إنل» عاصمة الخزر، وعلى سميئدر ثانية مدنهما الكبرى. بعد ذلك انسحبت دولة الخزر إلى شبه جزيرة القرم ودامت فيها 50 عاماً حتى استطاع «ستسلاف» أمير كييف أن يقضي عليها بالتحالف مع بيزنطة سنة 1016(1).

ومن دولة خزريا اليهودية انحدر 92% من يهود العالم. والكتل الرئيسية التي يتكون منها من يُعرفون باسم اليهود في العالم أصلهم من خزريا، وأولهم الكتلة الخزرية في جنوب روسيا، والكتلة البولونية، والجالية اليهودية في أمريكا، حيث كانت أمريكا هي المهاجر الأكبر للخزر بعد أن شرع قياسرة روسيا في اضطهادهم.

والجدير ذكره أن معظم قادة إسرائيل العسكريين والسياسيين تعود أصولهم إلى يهود الخزر الآريين، التركمان الذين تهودوا في القرن الثامن الميلادي، وهم لا علاقة لهم بالعرق السامي الذي ينسبون أنفسهم إليه(2).

عبد الرحمن شاكر: «دولة الخزر»، (المرجع السابق)، ص 36.
نصر شمالي: «ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 120.
اليهود في أوروبا الشرقية وروسيا

عاش اليهود في أوروبا الشرقية أسرى القواعد التي وضعها لهم "عزا" اليهودي البابلي. وقصد من وضع القواعد إلى إحاطة اليهود بسياح من التعصب القومي، والعنصرية الذي يحول بينهم وبين الذوبان أو الاندماج في المجتمعات الأخرى. وظلوا طوال عهود تشتتهم محتفزين بروح الاستعلاء والتفوق التي شحتهم بها شريعة عزا حاملين معهم تفكيرهم الديني: "بنو إسرائيل شعب مقدس، لأنهم شعب الرب، وأرض مقدسة لأنها محل بيت الرب". وتوارثوا هذا التفكير الذي جمدهو، ثم عقدوه وعبدوه، فأوجد فيهم الغرور والتحرّب والانزواء.

وكان اعتقادهم أنهم شعب مختار سبأ في تقوية ما لديهم من نزعة إلى اعتزال غيرهم من الشعوب، ولشعورهم بالامتياز والتفوق والاستعلاء، أشعروا الأمم بأنهم من طينة غير طينتهم (1).

جورجي كنعان: "العنصرية اليهودية"، دار النهار، بيروت 1983، ص 83.
وظلوا محافظين على خصائصهم المميزة واستقلالهم النسبي، خصوصاً في أوروبا الشرقية، يقاومون تحت عقيدة "المختارين"، كل اندماج وانسحاب في مجتمعات الشعوب التي عاشوا بينها. وكانت الغالبية العظمى من اليهود تعيش في بداية القرن التاسع عشر، في شرق أوروبا خصوصاً في أراضي جمهورية بولونيا الملكية. فهي جنة النبلاء هذه وجدت طبقة التجار اليهود مجالاً رحبًا للعمل، وخلال قرون طويلة، لعب اليهود دور التاجر والمرابي، ووكيل السيد الإقطاعي والوسط في جميع الأمور. ومثلت المدن اليهودية الصغيرة الغارقة في بحر من القرى الفلاحية، المتاخمة في الغالب لقصور الإقطاعيين البولنديين، دور الاقتصاد التبادلي في مجتمع إقطاعي صرف (1).

ولكن بعد الفوضى السياسية والانحطاط الاقتصادي وجهت إلى الإقطاعية البولندية ضربة قاضية. كما اهتز فيه المركز التقليدي الذي احتله اليهود في أوروبا الشرقية. وأدى تدمير مركز اليهود الاقتصادي في أوروبا الشرقية، إلى هجرة يهودية جماعية. ففي كل مكان، وتحت أشكال وصور متعددة، أنعشت أمواج المهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية.

(1) إبراهيم ليون: "المفهوم المادي للمسألة اليهودية"، ترجمة: عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت 1969، ص 123.
السلوك السياسي لليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية

المسألة اليهودية، ومن هذه الناحية يشكل تاريخ اليهود في أوروبا الشرقية خصوصاً العامل الحاسم في القضية اليهودية المعاصرة.

وتعود العلاقات التجارية لليهود أوروبا الشرقية وبوهيميا وبولونيا وروسيا الصغرى إلى العصور الوسطى، فالشبكة التجارية التي أقامها اليهود بين آسيا وأوروبا، امتدت عبر حقول بولونيا وأوكرانيا. وكان اليهود الشرقيون يقايضون المواد الثمينة من آسيا كالتوابل والحرير، بمواد أوروبا الخام، فشكلوا العنصر التجاري الوحيد في مجتمع زراعي صرف (1).

وقد أدت الأوضاع الاقتصادية المتذرة، والحياة الدينية داخل الغيتو اليهودي، إلى ظهور حركات دينية «الكالخسيدية» من حسبي أي التقي، أيسهدا الحاخام «بسرائيل بعل شم طوق» (1700-1761)، نشأت الحركة بين يهود أوكرانيا في منتصف القرن الثامن عشر، ثم انتشرت في بولونيا وروسيا والمجر ورومانيا، حتى أصبحت عقيدت أغلبية الجماهير اليهودية في شرق أوروبا بحلول سنة 1830. ولعل الناحية البارزة في فكر هذه الحركات الدينية، هي الحب ل»الأرض إسرائيل» والكره العميق للحكومات التي يعيشون في ظلها، إبراهيم ليون: «المفهوم المادي...» (المرجع السابق)، ص 125.

(1)
والنبلاء الذين يستغلون هذه الطبقات الفقيرة. وناحية أخرى، هي تعظيم وتقديس شعب إسرائيل المرتبط "بأرض إسرائيل"، وقد عبروا عن حبهم لأرض إسرائيل عبر هجرات إفرادية، وجماعية إلى "أرض الميعاد"(1).

ومما دعم هذه الانعزالية، وضع اليهود في مجتمعات شرق أوروبا، كأقلية اقتصادية تقوم بأعمال تجارية وممية معيّنة. ففي مطلع القرن التاسع عشر كان أكبر تجمع ليهود في العالم موجوداً في أوروبا الشرقية، خصوصاً في روسيا القيصرية، حيث كانوا يعيشون في مساح تلك المجتمعات بسبب طبيعتها الإقطاعية والزراعية المختلإة. فكانوا يحتكرون التجارة والربا ويعملون كمكلاه لصالح النبلاء، ووسطاء بين الفلاحين وبين الأسياح الإقطاعيين. وكانوا يمارسون وظائفهم الاجتماعية المعهودة: تجار، مقرضون، ممولون، صارفة، مرابون، باعة متجولون مما أدى إلى تراكم واسع للرأس المال السائل بين أيديهم مع مرور الزمن(2).

ولما زحف نابليون باتجاه روسيا كان اليهود من ورائه وفي عونه بقصد سحق روسيا عدونهم الكبرى، وكان لهم الدور الكبير في تدمير ونهب مزارع الشعب الروسي، وفي

1. جورجي كتان: "سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية"، دار الهار للنشر، بيروت 1982، ص 94.
2. جورجي كتان: "سقوط الإمبراطورية"، (المرجع السابق)، ص 95.
السلوك السياسي لليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية

القضاء على مئات الآلاف من الروس في ساحات المعركة. رغم ذلك فإن اليهود لم يستطيعوا تحطيم القيصرية والدولة الروسية، واستلام مقاليد الحكم فيها، فقررموا الانتظار والعمل مرة أخرى على تحطيمها من الخارج. ففي عهد القيصر «نيقولا الأول» (1825-1855)، بدأت سياسة «الترويس» المشهورة للأجناس غير الروسية. وكان المفكر النظري للترويس من مساعدي القيصر، هو الكونت نيكولاس بوبوفيتش الذي كتب تقريراً في عام 1832، أعلن فيه أن مبادئ الروسي الحقيقي هي ثلاثة: الأنتيكاتية، أي الإيمان بالحكم المطلق للقايصرة، والعقيدة الأرثوذكسية واللغة الروسية.

وقد عانت الشعوب غير الروسية في ظل حكم القياصرة معاناة شديدة بفضل تلك السياسة طبقاً لدرجة ابتعادهم عن مبادئ الروسي الحقيقي. ومن هؤلاء «الξανθοί اليهود»، عن طريق إجبار أولادهم من سن الثانية عشرة على الدخول في معسكرات الخدمة الإجبارية بما فيها العسكرية، ويبقون لمدد قد تطول إلى خمسة وعشرين عاماً. وفي أثناءها يعلمون اللغة الروسية، ويُجرب الكثير منهم بمختلف وسائل التدريب على اعتناق الأرثوذكسية فضلاً عن إجبار البالغين على حلق لحاءهم وارتداء الملابس الروسية.

عبد الرحمن شاكر: "دولة الخزر.."، (المرجع السابق). ص 42.
وفي ظل سياسة الترويس هذه ولدت الحركة الصهيونية، التي بدأت كنوعية دينية في روسيا في مطلع القرن التاسع عشر، حيث هاجر بعض اليهود الخزر إلى فلسطين.

وكان اغتيال قيصر قيصر روسيا "المتترون" ألكسندر الثاني سنة 1881، هو الحدث الذي أشعل شرارة الانفصالية عند اليهود، واللاسامية عند الأقوام الأخرى. فقد جعلت السلطات الروسية من اليهود ضحية الاغتيال حيث ذبح العدد الكبير منهم.

وقد شرع يهود الخزر في إقامة مستوطنات يهودية على

(1) عبد الرحمن شاكر: "دولة الخزر"، (المرجع السابق). ص 43.
(2) أودي أدب: "اليهود الشرقيون في إسرائيل"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003، ص 20.
أرض فلسطين منذ عام 1882(1). وكانت مستعمرة «ريشون لزبون» أو الأولون في صهيون، أقدم المستعمرات التي أقامها روتشيلد في عام 1882، وقد أسّسها مجموعة من الشباب اليهودي القادمين من روسيا ورومانيا على ظهر الباحرة "أصلان" التي رست أمام مدينة يافا.

وقد بنت المستعمرة بالقرب منها، واختار موقعها "أورانس أوريفانت" رسول روتشيلد الخاص، ثم بنى بعدها مستوطنة زكور يعقوب وروشينا ونبع زيوتا. وأسس فيما بعد شركة "بيكا" مؤسسة استعمار أراضي فلسطين(2).

وفي العام 1884، عقد "أحياء صهيون" المؤتمر الأول في بولونيا "مؤتمر كاتوفيتر"، واشترك فيه عدد من المفكرين اليهود البارزين منهم "ليون بينسك" و"هرمان شابيرو". وبعد ثلاث سنوات عقد "أحياء صهيون" مؤتمرهما الثاني، وكانت أبرز أعمال هذه الجمعية نشر الفكر الصهيوني بين جماهير اليهود في أوروبا الشرقية، ودفعهم للهجرة إلى فلسطين. وفي أوكرانيا ظهرت جمعية يهودية ثانية حملت اسم "يانيت يعقوب".

---

(1) حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)، الدار الجامعية، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 7.
(2) الرحمن الهندي، محسن إبراهيم: "إسرائيل..."، (المرجع السابق)، ص 48.
هيانرحل). وقد عرفت باسم مختصر هو "بيلو"، حيث كانت أول منظمة تنقل اليهود إلى فلسطين، إذ دفعت سنة 1882، أول فوج من المهاجرين. هذه المنظمات والجمعيات كانت ذات طابع ضيق وغير معترف بها بشكل رسمي عن قن في أوروبا الشرقية(1).

ومن زعماء الهجرة الثانية الذين نشطوا في هذا الميدان دافيد بن غوريون (1886-1973)، الذي يعتبر عنصر العمل الأساسي، بالإضافة إلى عناصر الإنتاج الأخرى الذين كانوا مدار الحركة الصهيونية. لقد انضم بن غوريون منذ وصوله إلى فلسطين عام 1906 إلى حركة «عمال صهيون»، وراح يدعو إلى تدعيم العمل اليهودي إلى أبعد حدوده الاقتصادية، ويهاجم الملاك اليهود الذين يستخدمون العمال العرب في مزارعهم.

لقد امتازت مرحلة الهجرة الثانية بتصميم الصهيوئيين الأوائل على العمل لتشييد أسس العنصرية اليهودية، حيث عقد المهاجرين الذين كانوا يعملون في مستوطنة "بيتح تكفا" اجتماعاً أقرروا فيه إنشاء جمعية مهمتها، العمل لبناء المستوطنات(2). بالإضافة إلى قرار المنظمة الصهيونية العالمية.

هاني الهندي، حسن إبراهيم: "إسرائيل" (المراجع نفسه)، ص 51.
جورجي كعبان: "العنصرية اليهودية"، (المراجع السابق)، ص 105.

(1)
(2)
بتكييف النشاط الاستيطاني في فلسطين، رغم ذلك وصل عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين إلى 25 مستوطنة، يسكنها حوالي 6500 يهودي حتى العام 1905، لأن معظم المهاجرين اليهود من روسيا قد اتجهوا إلى الولايات المتحدة الأเมريكية وأوروبا الغربية (1).

وأما اليهود الذين استمروا داخل روسيا، لم يستطيعوا تحطيم السلطة القيصرية، والدولة الروسية واستلام مقاليد الحكم فيها. فقرروا الانتظار والعمل مرة أخرى على تحطيمها من الخارج.

ولقد أشعل اليهود نار الحرب الروسية – اليابانية (1904-1905)، وكانوا وراء اندثار روسيا فيها، وذلك بتقديم المساعدات والمنح المالية الضخمة إلى اليابان. وبعد انتهاء الحرب دخل عدد من اليهود في مجلس الدوما الجديد في روسيا، ولكن ذلك لم يكن كافياً في نظر اليهود. وفي هذا السياق، قال مرسيل إن يهود روسيا قبضاً على القيصر نقولا الثاني وعائلته وساقوه إلى سيبيريا حيث قتلوا جميعاً بعد التعذيب. وكان الذي حاكم القيصر 15 يهودياً من السفاكن، ومعهم يهودي بولوني وآخر مجري، ونفذ الحكم

جورجي كمان: "العنصرية اليهودية"، (المرجع نفسه)، ص 106.
تاريخ اليهود السياسي

في العائلة دفعة واحدة من قبل الجنود اليهود بقيادة اليهودي
"يوروفسكي"(1).

وعندما اكتشف كتاب بروتوكولات حكماء صهيون في
روسيا الذي تضمن العمل للسيطرة على العالم، وفيها روسيا
بطرق إجرامية لإنسانية ولاأخلاقية، تعرض اليهود إلى
المذاهب في روسيا حتى العام 1917، حيث وقعت الثورة
البلشفية.

بعد الثورة تدفق المهاجرين الخزر (اليهود)، من روسيا
بالملايين إلى الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا الغربية هرباً
من الحكم الجديد، إلى حد أن اليهود وصفوا الخروج من
روسيا شبيهاً بقصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض
كنعان.

وقد شجعت الحكومة الروسية هذا الخروج تخلصاً من
اليهود الخزر، خصوصاً أن كثيراً منهم شرعوا ينضموا إلى
الحركات الثورية التي قامت ضد الحكم القيصرى، وانضمت
إلى جانب الطبقات العمالية في روسيا(2).

وقد ظهرت القوى الاشتراكية كعضو قيادي للحركات

---

(1) عبد الرزاق محمد أسود: "الموسوعة الفلسطينية"، (المرجع السابق)، ص 34.
(2) أنيس صايع: "بوميات هرتزل"، ترجمة: هيلدا شعبان صايع، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1973، ص 498.
الثورية ضد الحكم القيصري، وانضم عدد من يهود الخزر إلى الحركة الاشتراكية، وطالبوا في بداية الأمر أن يكون لهم تنظيم خاص في الحزب الاشتراكي الديمقراطي، ولكن لينين عارض ذلك بشدة، باعتباره انقساماً عنصرياً في حركة سياسية المفروض فيها أن تؤمن بالدولة البروليتارية(1).

(1) عصمت سيف الدولة: «نظرية الثورة العربية»، دار الفكر، بيروت 1971، ص 314.
اليهود في أوروبا الغربية

لعب اليهود خلال قرون طويلة دور الوسطاء التجاريين بين الشرق والغرب. وتوضح مركز الحياة اليهودية تدريجياً في إسبانيا وفرنسا، خصوصاً أنهم يتكلمون الفارسية والرومانية والعربية ولغات فرانكية وإسبانية وسلافية. إنهم يتنقلون من الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب، بحرًا وبرًا، قاصدين الهند والصين. ومنذ بداية القرن الثالث عشر تم إقصاء اليهود من التجارة في أوروبا الغربية، لكن اليهود تابعوا تطوير عملياتهم التجارية في المناطق التي لم يبلغها الاقتصاد التبادلي بعد. ففي إنكلترا غاص اليهود في أعمال الربا، لأنهم أثرياء كبار، وهذا ما أدى إلى انتقال قسم من أراضي النبلاء إلى أيدي المرابين اليهود، بفضل فائض الربا.(1) فتأتاحت الرأسمالية للعنصريّة اليهودية المختلفة أروṣ الفرصة لتجسد إيجابياً عداءها القبلي للشعوب وتحول كل

(1) إبراهيم ليون: «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 89.
السلوك السياسي لليهود روسيا وآوروبا والولايات المتحدة الأميركية

..."جيتو" إلى وكر تآمر وتخطيط وتعبئة نشيط، وحصار لكل من ليس يهودياً.

وانطلقت العنصرية اليهودية بذهنية المؤمنين بامتيازهم في مجتمعات يرفضون الاشتراك إليها، في ظل نظام يبيع لهم الاستغلال ليفرضوا سيطرتهم على الشعوب بكل الوسائل، ولم يكن غريبًا أن ينتهي كل هذا إلى أن يصبح اليهود في المجتمعات الأوروبية سادة المال، المسيطرين على أرزاق الناس من خلال البنوك. لذلك انتقم النبلاء، المختلسلة أموالهم، بتدبير مجازر ضد اليهود. ففي عام 1189 جرت مذابح اليهود في لندن ونطاق وستمنغورد(1).

وفي عام 1290، طرد سكان إنكلترا اليهود، وقارب عدهم ثلاثة آلاف، وصودرت أملاكهم. ولم يختلف وضع اليهود الاقتصادي في فرنسا عنه في إنكلترا، وعددهم يقارب المئة ألف.

لقد تعاطى اليهود الربا في شمال فرنسا بشكل خاص حيث كان يهود مرسيليا يقيمون علاقات تجارية مع إسبانيا وشمال أفريقيا وصقلية وفلسطين، إذ كانوا يملكون بواخر يستوردون التوابل والرقيق. وكان اليهود في فرنسا يخضعون

عصمت سيف الدولة: "نظرية الثورة العربية"، (المرجع السابق)، ص312.

115
تاريخ اليهود السياسي

إلى جملة من الضرائب والرسوم، ووضعت عدة وسائل قيد التنفيذ لاستخراج أكبر مبلغ ممكن منهم. فالتوقيعات الجماعية والأحكام المتكررة والطرد، كل ذلك كان حجة لاستلاب واسع.

ولكن ملوك فرنسا يطردون اليهود تارة، ويستقبلونهم أخرى، كل ذلك للاستيلاء على أموالهم (1).

 وكانت قرون الثاني والثالث والرابع عشر، عهد تطور الريب اليهودي في كل أنحاء أوروبا الغربية، وفي قسم من أوروبا الوسطى. وأدى التطور الاقتصادي إلى الانهيار السريع، وجرى الطرد النهائي لليهود في نهاية القرن الثالث عشر في إنجلترا، وفي نهاية القرن الرابع عشر في فرنسا، وفي نهاية القرن الخامس عشر في إسبانيا. لقد أصبح اليهودي مجهولاً تماماً في أوروبا الغربية. ولكن تمكّنت بعض المجموعات اليهودية الصغيرة، من التشبث ببعض الوظائف الاقتصادية الملحة، وأصبحت المعارف اليهودية "بيوت الرهون"، يستقرض منها البؤساء. فأصبح اليهودي مرابياً صغيراً، يُقرض فقراء المدن والأرياف، مقابل رهونات مخفضة القيمة.

وبعدها أُقصي عن التجارة، تركز الرأسمال اليهودي في...

(1) إبراهيم ليون: "المفهوم المادي...", (المرجع السابق)، ص 91.
السلوك السياسي لليهود وروسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية

الربا فقط. وقد أدى ذلك الوضع الجديد إلى تبديل موقف
البلاء والملكية تجاه اليهود. وكان ينتقل الأسياد أحياناً في
 سبيل الدفاع عن أملاكهم المهيدة إلى صراع لاهوادة فيه ضد
المرابين اليهود الذين يستنزفونهم.

في هذه الأثناء وُلدت فكرة استغلال العواطف اليهودية،
ومحاولة تجنيدهم لخدمة أغراض استعمارية. وقام بهذه
المحاولات زعماء الأوساط الحاكمة في الامبراطوريات
الاستعمارية. وقد حاولت شركة الهند - الهولندية عام
1652، توطين اليهود في جزيرة كوراساو. وفي العام
1654، شاءت بريطانيا أن تسكن اليهود في إحدى
مستعمراتها سورينام. وحاولت فرنسا في السنة ذاتها أن
تسكنهم في كايان. وفي سنة 1695 تقدم تاجر يهودي
دانمركي أوليغرولي بمذكرة إلى ملوك أوروبتين عديدين كان
أهمهم وليم الثالث الإنجليزي، ولويس الرابع عشر الفرنسي.
وقد أرفق بهذه المذكرة برامج مفصلة لنقل اليهود إلى
فلسطين. وبعد سنوات قليلة تقدم المركز الكنائسي إلى
السفير التركي في لاهاي بهولندا يطلب منه إجراء مفاوضات

إبراهيم ليون: المنهج المادي، (المرجع السابق)، ص 97.
هاني الهندي: حول الصهيونية وإسرائيل، دار الطليعة، بيروت،
(بدون تاريخ)، ص 21.
لتنقل اليهود إلى فلسطين. وكما نشر الأمير "دي لين" عام 1797، مذكرة مفصلة حول إعادة بناء دولة يهودية في فلسطين، سيكون نفعها شاملاً لليهود وللدولة التي ستعانونهم على ذلك، بالإضافة إلى نفعها للعالم أجمع (1).

في هذه المرحلة حاولت فرنسا توظيف مسألة اليهود وإعادتهم إلى فلسطين في مشاريع التوسعة في الشرق العربي. وفي صراعها مع بريطانيا حول مناطق النفوذ في المنطقة العربية.

ففي عام 1798، فُقِيِّل الحملة الفرنسية على مصر ببضعة أشهر، زُوج في فرنسا "كراس" نسب إلى يهودي إيطالي تحت عنوان: "إعادة تأسيس الدولة اليهودية"، وحدد الكراس حدود "مملكة إسرائيل الجديدة" بأنها تمتد من عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب البحر الميت إلى البحر الأحمر. وجاء في الكراس: إن هذا الموقع سيجعلنا (اليهود)، نتاجر مع الهند وأفريقيا الجنوبية والشرقية، والحبشة، وسنقوم عن طريق البحر المتوسط بإقامة علاقات مع إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وسائر أجزاء أوروبا (2).

1. هاني الهندي: "حول الصهيونية..."، (المرجع نفسه)، ص 22.
2. حبيب قهوجي: "إسرائيل خنجر أميركا"، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ط 1، 1979، ص 19.
وفي 19 أيار سنة 1798، غادر نابليون بونابرت مرفأ تولون الفرنسي سراً إلى مالطا، فاستولى عليها، ثم وصل إلى مصر، ونزل مع جيوشه شرقي الإسكندرية، واتجه بجيشه نحو العاصمة، وانتصر على المماليك في موقعة الأهرام، واستقر بعد ذلك في القاهرة.

ورأى نابليون أن يأخذ زمام المبادرة ويسرع باحتلال فلسطين وسوريا، باعتبار أنها الطريق البري الوحيدة التي يمكن للجيوش العثمانية أن تسلكها في طريقها إلى مصر.

هاجم مدن فلسطين من شباط سنة 1799، محراً بعض الانتصارات، إلا أنه وقف أمام أسوار عكا عاجزاً عن فقهها.

وأثناء حصار نابليون بونابرت لعكا، أصدر في 22 أيار عام 1799، نداءه المشهور لليهود الذي دعا فيه يهود الشرق إلى الانضواء تحت لواءه، والقتال من أجل إعادة تأسيس مملكة القدس القديمة، وتسليمها لليهود والورثة الشرعيين لفلسطين.

(1) عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعيمي: "التاريخ المعاصر أوروبا، من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية"، دار النهضة العربية، بيروت 1973، ص 79.

(2) حبيب قهوجي: "إسرائيل ختبر أميركا"، (المرجع السابق)، ص 20.
رغم فشل حملة نابليون على الشرق، فقد ظلت تراوده فكرة استغلال المسألة اليهودية في مشاريع الاستعمارية، وفي صراعه مع بريطانيا. ففي عام 1806 دعا إلى عقد مؤتمر لليهود الذين يعيشون في الأراضي الواقعة تحت سيطرة فرنسا. وتم عقد المؤتمر عام 1807، حيث جرى تشكيل مجلس أعلى لليهود المقيميين في فرنسا وإيطاليا. لكن سقوط نابليون بعد ذلك بفترة قصيرة أخرى فرنسا مؤقتاً من حلبة الصراع حول استخدام موضوع اليهود في التنافس الاستعماري مع بريطانيا في الشرق الأوسط.

إن عمل نابليون هذا قد يكون هو الذي تبّه هرتزل إلى إمكانية استغلال القوى الاستعمارية لتحقيق أحلام اليهود، وكذلك إنشاء دولة في فلسطين، كما أنه بالتالي قد تبّه أيضاً الدول الاستعمارية إلى استغلال اليهود في تحقيق أهدافها الاستعمارية.

فمباشرة نابليون، قد أثارت بريطانيا التي أدركت خطر منافستها، وببدأت هي أيضاً وضع مخططات سياسية واجتماعية لتحقيق أهدافها ومطامعها، منها إنشاء دولة يهودية في فلسطين تكون عميلة لها.

حبيب فهوجي: «إسرائيل...»، (المرجع نفسه)، ص 20.

ففي عام 1838، صدر كتاب في بريطانيا وضعه "اللورد لندسي" تحت عنوان: "رسائل حول مصر والأراضي المقدسة", تحدث فيه عن الإمكانيات المتوفرة آنذاك أمام الجنس العبري الذي حافظ على وجوده بشكل مهمل جدًا للوصول إلى عصر جديد من الحياة القومية واستعادة أرض وطنه مجددًا.

ومن أجل تحقيق ذلك أعلنت بريطانيا قنصلية في القدس سنة 1838، فكانت أول قنصلية أوروبية، وقد وضعت هذه القنصلية اليهود تحت حمايتها ورعايتها بهدف استمالةهم إليها ضد الدولة العثمانية، ولكي تتخد منهم وسيلة لتدخلها في شؤون البلاد العربية (1).

وعلى الصعيدين الرسمي والعملي، نشطت الدوائر البريطانية في العمل من أجل المشروع الصهيوني. ففي عام 1839 أرسل الاتحاد العام للكنيسات الأسكتلندية بعثة تضم راهبين إلى فلسطين، لدراسة أحوال اليهود هناك ووضع تقرير عنها. وفي السنة نفسها عرض "السير موسيس مونتغريزي" وهو ممول ومصري يهودي بريطاني، على محمد علي باشا الذي كان يسيطر على فلسطين وسورية آنذاك مشروعًا يقضي

(1) حسان حلاق: "دور اليهود والقرى الدولية..." (المرجع السابق)، ص 33.
بتآجر أرض في فلسطين تضم مئة أو مئتين قرية لمدة 50 سنة، وكان ينوي في حال موافقة محمد علي على مشروعه أن يؤمن شركة لاستصلاح الأراضي وتشجيع عودة اليهود إلى "أرض إسرائيل". وبعد إخراج محمد علي باشا من سوريا وفلسطين عام 1840 بحملة عسكرية أوروبية تزعمها بريطانيا، كشفت الدوائر البريطانية نشاطاتها وعملها في سبيل المشروع الصهيوني، وحاولت بريطانيا إقناع السلطان العثماني بفوائد إقامة كيان يهودي في فلسطين للموقع في وجه مخططات ومشاريع محمد علي وخلفائه للتوسع على حساب السلطة العثمانية.

وفي الرابع عشر من حزيران 1841، وضع الكولونيل "تشارلز هنري تشرشل" الذي كان يعمل حينذاك قنصلاً بريطانياً في دمشق، مشروعًا لتوطين اليهود في فلسطين، ضمّن فيه رسالة بعث بها إلى السير "موسيس مونتفيزيو" في لندن واجه فيها هذه الرسالة: "إن تجديد وجود الشعب اليهودي هدف يمكن الحصول عليه، ولكن أهم الشروط الضرورية لذلك أولاً أن يقوم اليهود أنفسهم بإثارة الموضوع في كل مكان وبالإجماع، وثانياً تقوم الدول الكبرى بمساعدتهم". ودعا إلى وضع سورية و"أرض إسرائيل" تحت حيب قهوجي: "إسرائيل خنجر أميركا"، (المرجع السابق)، ص 21.
حماية أوروبية. وعندما عرض "مونتيفيديو" اقتراح تشرشل على لجنة مماثلة الطوائف اليهودية في بريطانيا ردت اللجنة بتاريخ 8 شرين الثاني 1841 أنها غير مؤهلة للقيام بالمهمة. بعد ذلك وجه تشرشل نداء إلى يهود أوروبا، دعا فيه إلى تهجير اليهود إلى فلسطين، وجعلهم أسياد البلاد بلا منازع.(1) توالت بعد ذلك النشاطات والمشاريع البريطانية في مجال محاولة توطين اليهود في فلسطين.(2)

وقد حاولت فرنسا في عهد نابليون الثالث تجديد نشاطاتها في مجال استخدام موضوع اليهود في خدمة أغراضها الاستعمارية. ففي عام 1860 أرسل "أرنست لاهوران" سكرتير الامبراطور "نابليون الثالث" كتابًا بعنوان المسألة الشرقية الجديدة دعا فيه إلى بناء الدولة اليهودية في فلسطين تحت الوصاية الفرنسية. ومع انتقال الرأسمالية الغربية إلى مرحلة الامبرتالية، واحتدام الصراع بين الدول الاستعمارية الكبرى حول السيطرة والتفوؤد في منطقة الشرق العربي الذي ازدادت أهميته في أعقاب حفر قناة السويس، برزت حاجة الاستعمار إلى ضرورة تأمين ذرائع ملائم وعاجد قيادة يهودية منظمة تتوني تحت إشراف المخططين التنظير لفكرة توطين اليهود في فلسطين والإعداد والتحرك من أجل

(1) جورج أنطونيوس: "قبطية العرب"، ترجمة: ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت 1982، ص 29.
(2) حبيب فهوجي: "إسرائيل؟!؟)، (الرجع نفسه)، ص 26.
تحقيق هذه الفكرة على أساس سياسي. وهكذا بدأت تظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كتابات للكتاب يهود تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة يهودية فيها. وكان الصحافي النمساوي اليهودي تيوذور هرتس الداعية لإقامة الدولة اليهودية.

وأصدر عام 1896 كتابه "الدولة اليهودية" الذي ضمّته مخططًا عمليًا لتهجير اليهود وتوطينهم في فلسطين تحت إشراف بريطانيا.

لقد سار الاستعمار البريطاني والصهيونية جنباً إلى جنب في طريق محو عروبة فلسطين وإقامة إسرائيل. ولكن فلسطين كانت في ذلك الوقت لا تزال تشكل جزءًا من ولايتى دمشق وبيروت العربيتين في الدولة العثمانية. فتقدمت بريطانيا آنذاك باقتراح يرمي إلى البدء باستيطان اليهود وإقامة المستعمرات في سيناء المصرية التي كانت تخضع للحماية البريطانية. وكدت المؤامرة الإنكليزية الصهيونية تنجح لولا تنبهت الحكومة المصرية لمخاطرها ورفضها العروض الإنكليزية.

عبد الوهاب الكبالي: "المطامع الصهيونية الوطسية"، بيروت 1966، ص 20.
روجاه جارودي: "الأساطير المؤسسة...", (المرجع السابق)، ص 25.
وعادت بريطانيا تعرض على الصهيانة عام 1903، قيام مستعمرة ذات حكم ذاتي ليهود في "أوغندا" أو وسط أفريقيا، كمنطقة تجمع يهودية مؤقتة، تمهيدًا لنقلهم فيما بعد إلى فلسطين (1). وقد وافق يهود أوروبا الغربية على فكرة أوغندا، ولكن أصرّ يهود فلسطين على الاستيطان في فلسطين.

ولما مات هرتزل في 3 تموز 1904، انعقد المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905، وقد قرر بذل الجهود، لبناء دولة على أرض فلسطين. وكذلك أصر الصهيانة في المؤتمر المنعقد عام 1908 في لاهاي (هولندا) على رفض عرض إقامة مستعمرة في أوغندا، وتقرر التمسك بهجرة اليهود إلى "أرض الميعاد"، والاستمرار بسياسة التعاون مع بريطانيا حتى تُنفذ الخطة المتفق عليها.

ومنذ ذلك الوقت ضاعفت الصهيونية جهودها، ووضعت كل نفوذها الحالي والسياسي في خدمة الاستعمار البريطاني، وساهمت مساهمة فعالة في خلق ظروف الحرب العالمية الأولى، وفي جز أميركا فيها إلى جانب حليفتها بريطانيا (2).

(1) روجيه جارودي: "الأساسيات المؤسسة..."، (المرجع السابق)، ص 25.
(2) شفيق الرشيدات: "فلسطين"، دار الكاتب العربي، مصر 1968، ص 46.
اليهود في الولايات المتحدة الأميركية

بدأ وجود اليهود مع بداية نزول كريستوفر كولومبس، حيث أخرج أكثر من 300 ألف يهودي من إسبانيا بتاريخ 2 آب 1492، وفي 3 آب 1492 أبحر كولومبس حاملاً معه عدداً من اليهود. وقد تحدث إلى اليهود، حيث كانت رسالته الأولى التي شرح فيها اكتشافاته موجهة إلى شخص يهودي. وقد نال أنصار كولومبس عدداً من الامتيازات مكافأة لهم أما هو فقد غدا ضحية المؤامرة التي حاك خيوطها طبيب الباخرة اليهودي (1). بعد اكتشاف قارة أмерكا، بدأ اليهود يهاجرون إليها. واعتبروها يومئذ ملجأهم الأخير. ملجماً من الاضطهاد الأوروبي لهم. اضطهاد الكنيسة للأسباب الدينية المعروفة والخاصة بعقيدة المسيح. ولأسباب اقتصادية، لأن اليهود هم المرابون الذين يقرضون أموالهم بفوائد باهزة. وكان من مصلحة المقترضين أن يتخلصوا من اليهود حتى يتحروا من ديونهم. فحلّت باليهود كراهية الشعوب الأوروبية

عبد الرزاق مهند أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 77.
ولعنّة الكنيسة. فرأوا في الأرض الجديّة العلامة الذي يحمّيهم من الاضطهاد الأوروبي بشقيه: الديني والشعبي\(^1\). ومنذ ذلك الوقت بدأ اليهود بالتطلع إلى أمريكا وشرعوا في الهجرة إليها.

وفي المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور الأمريكي سنة 1789، نبّه الرئيس الأمريكي بنينامين فرانكلين شعب الولايات المتحدة الأمريكية إلى خطر اليهود حيث قال: «هناك خطر يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر هو اليهودية... حينما اقتصالي اليهود، نجدهم يوهون من عزيمة الشعب، ويزعّعون الخلق التجاري الشريف. إنهم كونوا حكومة داخل الحكومة. وحينما يجدون معارضة من أحد، فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً. إذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ففي أقل من 100 سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا، ويجيّرون شكل الحكومة التي ضحيانا وبذلنا لإقامةها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا الفردية. إذا لم يمنع اليهود من الهجرة فإنه لم يمض أكثر من 200 سنة ليصبح أبناؤنا عملاً في الحقول لتوفير الغذاء لليهود».

(1) حاشم زكريأ: "أمريكا والصهيونية"، دار الورثة، (بدون تاريخ)، ص 35.
الذين يجلسون في البيوت المالية. اليهود خطر على هذه البلاد، وإذا سمح لهم بالدخول إليها فسوف يخرون دستورنا ومشأنا، يجب منهم من الهجرة بموجب الدستور.

رغم تحذير الرئيس الأمريكي فرانكلين، ظهرت في عام 1830 حركة بروتستانتية في أميركا تتعاون مع اليهود وتتروج لفكرة عودة اليهود إلى فلسطين، وتبعها قيام حركات أخرى مماثلة. وقد حاولت هذه الحركات الدينية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأميركية القيام بمحاولات للاستيطان في فلسطين، وكانت المحاولة للاستيطان الزراعي قريب يافاً.

وفي عام 1850 قام فورد كريسون، فنصل الولايات المتحدة الأميركية في القدس، بتأسيس مستوطنة زراعية في منطقة القدس، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى. وقد نشأ في أواسط القرن التاسع عشر نوع من العلاقة والمشاركة بين أميركا وبريطانيا. وتمثل أحد أوجه المشاركة بين الدولتين، في سعي مشترك لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، لأن فلسطين تعتبر أهم مفارق طرق التجارة في العالم. وقد أخذ هذا السعي المشترك بين الدولتين شكل خلق دينية تبشيرية، لبروتوكولات حكماء صهيون، إعداد الطلاب الوطنيين في لبنان، دار القاموس الحديث، بيروت (بدون تاريخ)، ص 215.
تقوم أثناء عملها التبشيري بالتركيز على العهد القديم (التوارث) وذلك من أجل تهيئة العقول لقبول فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين.
وفي العام 1906، برزت اللجنة اليهودية-الأمريكية للدفاع عن اليهود ضد تهمة الاتجار بالرقيق الأبيض.
وهي تهمة وجهها ضد اليهود في نيويورك الجنرال بنغهام، مدير الشرطة آنذاك. وقد ورد في تقرير الجنرال: "إن خيرة الأسر اليهودية الثرية، إنما جمعت ثرواتها الضخمة من الاتجار بالرقيق الأبيض، وأن 50% من الجرائم التي تقع في المدينة هي من صنع اليهود.
رغم ذلك لم يكتف اليهود بأن تكون لهم منظماتهم الخاصة بهم، بل سللوا إلى المنظمات غير اليهودية ليسيطروا عليها من وراء الستار. وهذه المنظمات غير اليهودية قدمت خدمات جليلة للهولندي، لأنها كانت تذهب في تأييدهم إلى 
أبعد مما تستطيع أن تذهب إليه المنظمات اليهودية.

1) حبيب تهوجي: "إسرائيل خنجر أميركا"، (المرجع السابق)، ص 102.
2) هاشم زكريا: "أمريكا الصهيونية"، (المرجع السابق)، ص 52.
الحذيفة، وعلى التجارة بصورة عامة، واستولى اليهود على مصادر الذهب والبترول والمعادن، وعلى البنوك وبورصة الأوراق المالية، وعلى الصحف والإذاعة والتلفزيون، ودور النشر ووילות الأنباء في الولايات المتحدة الأميركية. ثم غزت الأفكار اليهودية عقول طلاب الجامعات، وقد تزعم اليهود كل الحركات الفوضوية في الحقل الطلابي\(^1\).

لقد استطاع اليهود بأساليبهم الملموسة مسك زمام الأمور كلها في أميركا، ولم يمنحوا الوطن الجديد ولاههم. لقد ثبت أن ما قاله فرانكلين في أواخر القرن الثامن عشر كان صحيحاً، فقد استطاع اليهود السيطرة على القرار الأميركي.

وفي هذا المجال يقول شارل مالك: "إن لليهود في أميركا وضعنا مستقرناً، وقد تأصل في جذور الحياة الأميركية، بذلك القدر عني، لهم تأثير فعال في الرأي العام الأميركي، ووزن متفوق في السياسة الأميركية الرسمية. ومعظمهم محصور في نيويورك وبعض المدن الصناعية الكبرى كشيكاغو وكاليفورنيا وبوسطن ولوكسليمفايا. وهم محتكرون لبعض الصناعات الرئيسية. كما أنهم يحتكرون بعض المهن المهمة.

شارك مالك: إسرائيل، أميركا والعرب، تقرير في الوضع الحاضر، 5 آب 1949، دار النهار، بيروت، ط 3، 2003، ص 67.
كتب الأسئلة، ولهم تأثير كبير في عدد من المهن الأخرى كالمحاماة\(^1\).

وفي العام 1891، قام "وليم بلاكستون\(^2\)", وهو رجل أعمال من شيكاغو ومعه مجموعة من الشخصيات الأمريكية بتوجيه رسالة إلى الرئيس الأمريكي "تينيسم هاريسون\(^3\)", وليloyd بيرد، وزير خارجية "جيمس بلان\(^4\)", تطلب منه عقد مؤتمر دولي لبحث مطلب اليهود بشأن "العودة إلى أرض فلسطين\(^5\)", وقد عاد بلاكستون نفسه إلى تقديم مذكرة مماثلة وقعها مئات الأنيركيين إلى الرئيس الأمريكي عام 1916 أثناء الحرب العالمية الأولى.

وخلال الحرب العالمية الأولى قدم القنصل الأمريكي في القدس الحماية لعدد من اليهود القدس، وعمل على نقل الطعام والوقود والأدوية والمساعدات لليهود المقيمين في فلسطين. كما شاركت السفن الأمريكية في نقل اليهود الذين قررت السلطات العثمانية إبعادهم عن فلسطين من يافا إلى الإسكندرية.

والجدير ذكره أن "بن غوريون نفسه ومعه الزعيم الصهيوني "تيسحاق بن زفي" كانا بين أولئك الذين تدخل

(1) حوار مالك: "إسرائيل وأمريكا والعرب\(^6\)", (المراجع نفسه) ص 57.
السفير الأميريكي لحمايتهم، وقد نقلتهما سفينة أميركية من يافا إلى الإسكندرية عام 1915، ومن هناك توجها إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث عملوا لجمع فيلق يهودي للمشاركة في الحرب إلى جانب الحلفاء ضد الألمان والعثمانيين (1).

ففي الرابع من أيلول عام 1917، أرسل اللورد روبرسيسل برقيه باسم الحكومة البريطانية إلى مستشار الرئيس الأمريكي، "الكولونيل هاووس" ومنه إلى الرئيس ولفسون، قال فيها: "نحن ملزمون بتصريح التعاطف مع الحركة الصهيونية، وأكون شاكراً إذا أخذت لنا بصورة غير رسمية ما إذا كان الرئيس ولفسون يؤيد مثل هذا التصريح. وفي أواخر أيلول نفسه أجاب المستشار الأمريكي باسم الرئيس ولفسون، بأن الرئيس يحبذ إصدار تصريح يساند الصهيونية (2).

وبعد أن اقتنعت الولايات المتحدة الأميركية أن الاستيطان اليهودي هو الأمر الوحيد الممكن، صبت جهودها لدعم الهجرة والاستيطان اليهودي. كما تبادل بلفور الرسائل مع الرئيس الأميركي ولفسون للاتفاق على الصيغة النهائية.

حبيب قهوجي: "إسرائيل..."، (المرجع السابق)، ص38.
حبيب قهوجي: "إسرائيل..."، (المرجع نفسه)، ص39.
للتصريح الذي سوف تصدره بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي. وقد وافق الرئيس الأمريكي على مشروع التصريح سراً، وظلت الموافقة الأمريكية في الكتبان بسبب موقع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى، وفي السياسة الدولية. وعندما تأكدت نهائياً هزيمة تركيا قال ولسون في آب عام 1918: «اعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا ومن شعبنا اليهود اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية».

هؤلاء أهم جالبة لإسرائيل على الإطلاق. بداية، فإن أكبر عدد ليهود في العالم هو في أمريكا يليها إسرائيل. كما أن سيطرة اليهود على الكونغرس والإعلام، وبالتالي على أي إدارة أمريكية تتولى الحكم، هي في قمها التاريخية والجغرافية. لم يعرف اليهود في الغرب على مدى تاريخهم الطويل وتأثيرهم في مجري الأحداث، قوة ونفوذاً وتمسيراً لمقدار البلاد أكثر مما هو اليوم في أمريكا. ثم إن الولايات المتحدة مصدر لا ينضب للمال، فالمعونات المالية التي وصلت قيمتها في أحد التقديرات إلى 139 مليار دولار

نصير شمالي: ملاحظات أساسية...، (المرجع السابق)، ص160.
منذ إنشاء "الدولة الإسرائيلية"، ليس لها مثيل في التاريخ. وهي معونات متعددة الأشكال، فمنها منحة لا ترد، ومنها قروض لا تدفع، ومنها كفالات لا ترجع، ومنها تحويل أموال الضرائب إلى إسرائيل باعتبارها معفاة، أي كأنها دفعت إلى أمريكا، ومنها المعونات العسكرية التقليدية والدورية أو الطازجة في حالة الحرب(1).

لذلك لا توجد لإسرائيل رغبة في هجرة جماعية لليهود من أمريكا إلى "إسرائيل" باستثناء بعض المتطرفين والمعتصمين الذين يقيمون الآن في مستوطنات في الضفة الغربية وغزة قبل الانسحاب منها 78 بالمئة منهم من أمريكا الشمالية. ويرجع عدد كبير من الشخصيات المهمة اليهودية التي تحمل الجنسين الأمريكي والإسرائيلية ويتنقلون بين البلدين بكامل الحقوق في كليهما(2).

 Salman Abu Sitta: "Israel 2020", خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع، المجلد الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2004، ص 64.


134
الفصل الرابع
المخطط الاستعماري - الصهيوني
نحو فلسطين
تيودور هرتسقل ومشروع الدولة اليهودية

تيودور هرتسقل هو مؤسس الحركة الصهيونية، ومؤسس عدد من أجهزة هذه الحركة التي لا يزال بعضها يعمل إلى الآن، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية وللمؤتمرات الصهيونية العالمية الستة الأولى، وهو بالتالي "أبو دولة إسرائيل".

يُعد تيودور هرتسقل، المؤسس للحركة الصهيونية السياسية، فبدعوته إلى "الدولة اليهودية" تحدثت المعالم السياسية للصهيونية تحديداً ووضحاً، ثم اتخذت طريقها إلى التطبيق العملي، ذلك الطريق الذي انتهى بقيام دولة إسرائيل عام 1948.

وُلد تيودور هرتسقل في مدينة بوادبست عاصمة المجر في العام 1860، درس في فيينا عاصمة النمسا بين 1878


محمد محمود الصياد وبعض المؤلفين: "المجتمع العربي والقضية الفلسطينية"، دار النهضة، بيروت 1977، ص 348.
تاريخ اليهود السياسي

و1884. اشتغل بالكتابة الأدبية والسياسية بين 1885 و1891، دون أن يلتحق بمؤسسة معينة. وفي عام 1891 عين مرسلاً للجريدة الحرة الجديدة في باريس (كانت تصدر في فينا - النمسا). وظل في وظيفته هذه إلى 1895. وقد رافق خلالها الضجة التي قامت في فرنسا حول قضية الضابط اليهودي "ديرفوس" المتهم بالخيانة، وأخذ يتخلى بالتدريج منذ سنة 1894 عن آرائه السابقة بوجود اندماج اليهود مع الشعوب التي يقيمون بينها، وأخذ يدعو في الوقت نفسه إلى إنشاء دولة لليهود (1).

وعندما عاد إلى فيينا - النمسا - وعين محرراً أدبياً للجريدة الحرة الجديدة سنة 1896، أخذ يتصدى باليهود لينظم الدعاة إلى مهارة الانضاج، وإنشاء الدولة اليهودية، وهي الدعوة التي نشرها في كتيب عام 1896 بعنوان: "الدولة اليهودية" (2).

واكد هرتزل على ضرورة اعتماد العنف لتحقيق أطماعه الصهيونية في فلسطين، وكان يؤمن بأن ما لا يناله باللين، أي بالإغراء والتملقي يجب أن يناله بالقوة، أي بالتهديد.

(1) أنيس صايخ: يوميات هرتزل...، (المرجع السابق)، ص 8.
(2) أيغورن رودليش: "ذكرات صهيونية"، ترجمة: عبد الحسين شعبان، (بعد تاريخ)، ص 10.
والوعيد: فقد أخذ يفكر في تأسيس جيش يفتح به البلد الذي يريدوه وطالباً لليهود في الوقت نفسه الذي يفكّر فيه بوجود إنشاء هذا الوطن.

إلى جانب هذا الجيش، كان يفكر في إنشاء جيش من العمال، يحقق الأغراض العسكرية والاقتصادية في آن واحد. وكان هرتزل قد طالب بقرابة، بإنشاء جيش صهيوني في أول اجتماع رسمي له مع جمعية أحياء صهيون في لندن بتاريخ 14 تموز 1896، وذلك لحماية المتسللين إلى فلسطين (1).

والجدير ذكره أن هرتزل كان قد وضع في حزيران 1895، قائمة بوسائل التي سيسلكها للوصول إلى هدفه إنشاء دولة يهودية، وهي:

- جمع المال والاكتتاب لمبادئ الأرض.
- اتفاقيات على بيع الأراضي.
- شراء السفن أو بناؤها.
- انتقاء الأراضي وتعيين مناطق صالحة للمدن الرئيسية.
- دعم العمال في روسيا وغيرها لبناء شبكات للتصدير.
- عقود سفر وشحن مع السكك الحديد.

وقال هرتزل: "إن الخروج إلى أرض الميعاد يحتاج إلى عملية نقل ضخمة لم يسبق لها مثيل في العالم الحديث. إنها عملية مركبة تشتمل كل أنواع الجهود الإنساني، تتلاحم وتتداخل كما في دوران العجلات المستندة فوق بعضها".

وقال: إن هذا المشروع حتى في مراحله الأولى، سيؤمن العمل للجماهير الناشئة، لكل المهندسين والمعماريين والفنين والكيمائيين والأطباء والمحامين الذين خرجوا من المعسكرات، والذين ظنوا أنهم يستطيعون أن يحصلوا على معيشة شريفة خارج نطاق المهن اليهودية المشوطة. إنهم يفشلون في بأس، وقد بدأوا يؤلفون طبقة البروليتارية المثقفة.

وقال هرتزل: فيهم أرى المستقبل وقوة اليهود التي لا تزال نائمة. ومن هذه الطبقة البروليتارية المثقفة سأجمع الموظفين ونواة الجيش الذي سيبث ويكشف وياخذ البلاد، سأحصل على المال والعمال اليهود لخدمة أهدافنا(1).

وقد حقق هرتزل فكرة ربط يهود العالم كلهم في برلمان واحد، وكان هذا البرلمان هو المؤتمرات التي كانت تعقد كل عام، ويحضرها ممثلون عن يهود العالم أجمع، البرلمان

(1) محمد دروزة: "دُمَاة فلسطين", دار اللغة العربية، بيروت 1988، ص 539.
الذي ربط بين اليهود، على اختلاف بلدانهم وتباعد
ديارهم (1).

تجدر الإشارة إلى أنه عندما بدأت هجرة اليهود إلى
فلسطين، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني قانونًا في تموز
1882 حرص على اليهود دخول فلسطين، فأصبح الطريق إليها
صعباً، لكن جمعية (عشاق صهيون)، قد نشطت بعد صدور
هذا القانون، وأخذت تدعو إلى حب صهيون، ذلك الجبل
الذي يقع جنوب القدس (والذي دفن فيه الملك داوود).
وأخذت تنظم عمليات الهجرة إلى فلسطين لشراء
الأراضي فيها، والاستيطان بمساعدة بعض القنصل
الأوروبيين، أو برشوة بعض موظفي الحكومة العثمانية، وكان
للجمعية حينذاك فروع في ألمانيا والنسا وبريطانيا.
حاول هرتزل في عام 1896، الحصول على موافقة
السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على إنشاء دولة يهودية
في فلسطين، أو على الأقل إلغاء قوانين الحد من هجرة
اليهود إليها، مقابل تزويد السلطة بالقوروض المالية (2).

(1) جميل عطية – صلاح عيسى: فصخ المؤامرة، وعد بلفور، دار
التقى العربي، 1991، ص 37.
(2) حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان
عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)، الدار الجامعية
(المرجع السابق)، ص 38.
وبرغم تدهور الاقتصاد العثماني، وحاجة السلطان الشديدة إلى المال فقد رفض عروض هرزل قابلاً:

«لا أقدر أن أبيع ولو قدم واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإرادة دائمهم، وقد غذوها فيما بعد وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا.

لقد حاربت كتبتين من جيشنا في سوريا وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم، وفضلوا أن يموتونا في ساحة القتال. السلطنة العثمانية ليست لي، وإنما للشعب العثماني، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً حجماً منها. لاحتفظ اليهود ببلادهم، فإذا اقسمت السلطنة فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لم تقسم إلا على جثثنا ولن أقبل بتشريعنا لأي غرض كان»(1).

وعندما فشلت محاولات هرزل تلك، بدأ بعد عقد أول مؤتمر صهيوني.

مؤتمر بال في سويسرا

في 29 آب عام 1897، انعقد المؤتمر الصهيوني الأول

أنيس صاحب: "يوهيات هرزل" (المرجع السابق)، ص 35.
من مائتي عضو وفدوا إليه من مختلف بلاد أوروبا. ولقد اتخذ المؤتمر من الفكره الأساسية الذي صاغها هرتزل للصهيونية دستور المؤتمر ودستور الحركة الصهيونية، "إن هدف الصهيونية ينحصر في خلق ملأ لليهود في فلسطين بضمانة قانونية يضمنه القانون العام". وعلى كل صهيوني أن يساهم في ما يقتضيه هذا الهدف من مال، وعلى أثر ذلك نشأت مؤسستان يهوديتان "البنك القومي اليهودي"، والفوسا "القومية اليهودية".

لقد وضع المؤتمر الصهيوني الأول الصيغة النهائية لدستور العمل للحركة الصهيونية متمثلة في وطن قومي يهودي بضمانة من القانون العام(1).

وهذه الصيغة تحدد نهائياً معالم الصهيونية كحركة، إنها حركة سياسية، بهدفها وبوسائلها. فهي تسعى إلى خلق وطن قومي، ومن ثم دولة سياسية لليهود، كعلاج لمشكلة اجتماعية بحثت هي "اللاسامية" وهي في سعيها إلى هذا الهدف السياسي تلجأ إلى قادة الدول للاستعانة بعقولهم، مع تصميم على أن تتألف دولتهم القومية بسند قانوني، وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد. فلقد نجح الصهيونية في سعيهم لدى بريطانيا.

(1) زاهية قدورة: "تاريخ العرب الحديث"، دار النهضة العربية، بيروت 1975، ص 188.
العظمى في هذا الصدد تم أفضلوا في الحصول على سنة ١٩٣٦.

انتخب مؤتمر بال هرتزل أول رئيس، وأعلن قيام المنظمة الصهيونية العالمية، وتم إقرار برنامجها ونظامها الداخلي. كما ورد في وثائق المنظمة الصهيونية العالمية، إنها تعمل من أجل تأسيس "ملجأ واق في فلسطين" لليهود. وللابة تحقيق هذا الهدف، كان لا بد من تعمير أرض فلسطين بالمزارعين والحرفيين اليهود. وتنظيم كل اليهود بواسطة الاتحادات المحلية والعامة، وتكوين الشعور القومي اليهودي والوعي الذاتي، وكذلك الهيئة الخطوات للحصول على موافقة الدول العظمى من أجل تنفيذ مخططات الصهاينة. إن المؤتمر هو المؤسسة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية، الذي يضم ممثلين من البلدان كافة، وقد انتخب المؤتمر مجلساً تنفذيًّا انتخب بدوره من بين أعضائه لجنة تنفيذية صغيرة، أطلق عليها الهيئة التنفيذية المركزية للمنظمة الصهيونية العالمية، حيث أصبح هرتزل أول رئيس لها. وعلاوة على ذلك فقد تم تأسيس الإدارة الفلسطينية، والبنك اليهودي الاستعماري.

روجيه غارودي: "الأساساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، (المرجع السابق)، ص ٢٥.
والبنك الإنجليزي الفلسطيني، والصندوق اليهودي القومي، التي تبع كلها إلى اللجنة التنفيذية.

أما المنظمات الصهيونية الدنيا، فقد كانت تتألف من مجموعات إقليمية، خاضعة للمركز فيما يتعلق بالخطة القومية، ويعتبر صهيونياً كل يهودي بلغ الثامنة عشرة من عمره، على أن يقر ويلتزم بمقررات أو برامج مؤتمر بال، ويدفع لمصلحة المنظمة الصهيونية العالمية اشتراكًا شهريًا، و بكلمات أخرى، فقد وضعت المقاييس التي تحدد الانساب التنظيمي إلى الصهيونية، كما تحولت المنظمة الصهيونية العالمية إلى منظمة ذات درجات ومقامات يفصل ما بين قياداتها وأعضائها جدار شاهق متين.

ففي نظامها الداخلي لا ترد حتى إشارة أو تلميح إلى مبادئ الديمقراطية. إذا لم يجر انتخاب أعضاء المؤتمرات الصهيونية انتخابًا حقيقياً، وإنما كان يجري تعيينهم على يد نشطاء الحلقات الصهيونية وذلك من أوساط الأغنياء، الذين كانوا يتمكنون من دفع نفقات السفر إلى الخارج، أما الطريق فقد كان مغلقاً في وجه الناس غير الأثرياء.

وقول حاييم وایزن و(1874-1952)، حول المؤتمر

(1) مجموعة الكتاب السوفيت: الصهيونية نظرية وممارسة ترجمة: يوسف سلمان، دار الطلبة، بيروت 1974، ص 60.
(2) المرجع نفسه، ص 61.
لقد نجح المؤتمر في أن يقنع عدداً كبيراً من اليهود بأن يكونوا صهيونيين. أصبحت الصهيونية بعد هرتس حركة سياسية، وكانت قبله أحلاماً، وشعاراتاً، وعملاً من أعمال الإحسان. رغم ذلك برزت الصعوبات نتيجة انتشار الدعوة للاندماج بين صفوف كثيرين من اليهود، خصوصاً في بريطانيا وفرنسا. وكان هؤلاء يرون أن المشكلة اليهودية قد نشأت أصلاً من عزلة اليهود، وخوفهم من الاندماج في مجتمعاتهم. وأن حلّ مشكلة اليهود، في كل بلد، هو أن يكونوا من أبنائه، فاليهودي البريطاني يكون بريطانياً واليهودي الفرنسي يكون فرنسيًّا.

(1) لمزيد من التفاصيل يراجع: حسن زهرور: «أصف داوود..»، (المرجع السابق)، ص ص 313-334.
قامت المنظمة بدعوة المؤتمر الصهيوني للانعقاد مرة كل سنة، لتطرح عليه ما أنجزته من خطوات لتحقيق المقررات التي تتخذها.

لم تكن المنظمة هي الممثل الوحيد لليهود، إذ كان اليهود الرافضون للصهيونية، يستقلون بجمعيات خاصة بهم، ويرفضون التعاون مع المكاتب التي أنشأتها في مختلف دول أوروبا (1).

و عندما اختالف أعضاء المؤتمر الصهيوني الرابع حول مشروع شرقي أفريقيا، تعرضت المنظمة الصهيونية للتصدع، وتزعزع وايزمن وسوكلوف حركة منفصلة في بريطانيا نجحت في الحصول على وعد بلفور عام 1917، وقد أدى ذلك إلى انتخاب وايزمن رئيساً للمنظمة عام 1919، فأعاد توحيدها.

وفي عام 1922، أنشأت المنظمة فرعاً لها في فلسطين باسم ″الوكالة اليهودية″ لتقوم بالتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني في وضع وعد بلفور موضع التنفيذ.

وقد اهتمت المنظمة بأن تنشئ ذراعاً مالية لها، فأنشأت الصندوق القومي اليهودي لمساعداً على شراء الأراضي وإنشاء المستوطنات، على أن يقوم بتأجير الأرض إلى

جمعية عطية - صلاح عيسى: ″صك المؤامرة...″، (المراجع السابق)، ص ص 79-80.

147
المصطلحين اليهود، شرط ألا يستخدموا العمال العرب. أو
يعبدوا تأجيرها لغير اليهود. كما أنشأ الصندوق شركات فرعية
له في كل من الولايات المتحدة الأميركية، ولندن لجمع
الأموال التي يمول بها نشاطه(1).

بالإضافة إلى قيام المنظمة بدعوة المؤتمر الصهيوني
للانعقاد، فقد قامت بدور هام منذ إنشائها حتى إعلان الدولة
في عام 1948، فأنشأت جهازاً قوياً لجمع المعلومات
السياسية والاقتصادية والعسكرية عن فلسطين والأقطار العربية
الأخرى، لاستخدامها في خدمة الأهداف الصهيونية، كما
نظمت حملات جمع الأموال، خصوصاً من أميركا لتمويل
الهجرة والاستيطان. واستطاعت أن تؤكد نفوذها في أجهزة
الإعلام الغربية بشراء الصحف وتمويل إصدارها وتوجيه
سياساتها. وقامت أيضاً بإجراء المفاوضات السياسية مع
الدول الكبرى للحصول على كل المساعدات التي تمكنها من
تحقيق أهدافها.

ومنذ وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ركزت
المنظمة الصهيونية العالمية دورها على العمل بين يهود
العالم، ومحاولة الحصول على مزيد من التأييد السياسي

(1) محمد دوزة: «أيام فلسطين»، (المرجع السابق)،
ص ص 542-543.
الدولي لإنشاء الوطن القومي الصهيوني، في حين قامت الوكالة اليهودية بالدور الأكبر في تنفيذ المخطط الصهيوني داخل فلسطين ذاتها.

لقد استغلت المنظمة الصهيونية حركة الإصلاح، واكتسبت الأفكار الجديدة للعالم حول حقوق الإنسان، وحاولت مقاومة اشتراك اليهود في الحركات الثورية مقابل الحصول على امتيازات من الدول حول انتزاع العرب من فلسطين وإقامة دولة يهودية.

ولقد ساد التوجه الاستعماري لدى القيادة السياسية الأ默يكية في الفترة نفسها التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، وكانت الروح اليهودية قد ثبتت مواقعها بقوة في المراكز المالية العالمية، وتحولت الروح من قوة ضاغطة أوروبية إلى قوة عالمية للضغط على الدول بهدف تحقيق ما عملت له خلال قرنين من الزمن: السيطرة على النظام العالمي وإقامة دولة يهودية في فلسطين.

عقد زعاء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمرا منذ عام 1897 حتى العام 1951. والمؤتمر الذي عقد في القدس في 14 آب 1951، كان لبحث عملية الانتقال بالحركة اليهودية من دولة صهيون إلى بحث خطوات تأسيس مملكة صهيون العالمية.

(1) محمد دروزة: (المرجع السابق)، ص ص 543-544.
أما المؤتمر الذي انعقد عام 1897 في سويسرا بال، كان تنفيذاً لتعليمات واضحة عثر عليها ضمن نص خطة الحاخام "ريتشورن" في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم "سيمون بن يهودا" سنة 1869 في مدينة براغ. وأول من نشر نص الختام، "القرارات" العالم الروسي "سيرجي نيلوسى" الذي وقعت البروتوكولات في يده عام 1901، أي بعد خمس سنوات من مؤتمر بال.
وفي هذا المؤتمر جرت مناقشات ودراسات لوضع خطة سرية مرعبة لاستعباد العالم. ثم سجلوا قراراتهم أو وصاياهم باسم "بروتوكولات حكماء صهيون"، وضربوا حولها سياجاً كثيفاً من السرية والكتمان. وفي أحد المحال السرية في فرنسا، تمكنت سيدة فرنسية من الحصول على هذه الوثيقة السرية وهربتها، ولم تكن هذه الوثائق إلا بروتكولات حكماء صهيون، وهي جزء من مقررات المؤتمر بال.
وبعد ضياع البروتوكولات اهتز العالم ونشطت اليهودية العالمية بكل أجهزتها السرية والعلنية لاسترجاع النسخة المفقودة دون جدوى.
ووصلت النسخة المسروقة إلى أحد زعماء روسيا الشرقية.

(1) "بروتوكولات حكماء صهيون"، (المراجع السابق)، ص 210.
(2) نواب بن سيد عبد الرحمن الزفري: "حقيقة اليهود" ( بدون تاريخ)، ص 31.
وهو "اليكسى نيقولافيتش"، فذعر أشد الذعر لما احتوته من خطط شيطانية جهنمية لاستعباد العالم، عن طريق المال اليهودي والخلق اليهودي، فقدمها إلى صديقه العالم الروسي الكبير "سيرجي نيلوسكي"، الذي درسها دراسة تحليلية كاملة. وكان من نتائج طبها قيام حملة شعواء على اليهود في جميع أنحاء العالم ولا سيما في روسيا القيصرية. فوقعت مذابح ضدهم في روسيا، وقتل منهم في إحداها عشرة آلاف، وأقبل اليهود في جميع أنحاء العالم على شراء كل نسخة تمكنوا من العثور عليها من الكتاب حتى اختفي تماماً من الأسواق، إلا نسخة واحدة من الكتاب وصلت إلى المتحف البريطاني ودُوّنة عليها تاريخ الاستلام 10 أيار 1906. وكان "نيلوسكي" قد أعاد طبعها بالروسية سنة 1905، وسنة 1911، ثم أعاد طبعها سنة 1917(1).

بروتوكولات حكماء صهيوت، لغز من الألغاز في مجال البحث التاريخي، هو أخطر كتاب ظهر في العالم ولا يستطيع أن يقدّره إلا من يقرأ البروتوكولات ليستطيع أن يبصر الخطة التي رسمتها تيارات التاريخ لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها.

(1) "بروتوكولات حكماء صهيوت"، (المرجع السابق)، ص 211.
أهداف اليهود
في الحرب العالمية الأولى 1914-1918

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، ظن اليهود أنها قد تكون فرصة لهم. فأخذ فريق منهم يسعى مع الألمان، وفريق آخر يسعى مع الإنجليز وحلفائهم، في سبيل تحقيق هدفهم، لأنهم يعرفون أنهم لن يستطيعوا إقامة دولة في فلسطين، بدون دعم دولة عظمى وحماتها(1). فكانت ذلك نقطة لقاء هامة بينهم وبين بريطانيا، اهتمموا باستغلالها من ناحيتهم. وقد رحبت بريطانيا باهتمامهم من ناحيتها، حيث تصورت أنها إذا تبنت قضيتهم، وقدمت لهم وعدًا بتشجيعهم على هدفهم، بذلوا جهودهم في حمل الدول الأخرى على الموافقة على تبني بريطانيا لهدفهم، وجعل فلسطين وشرق الأردن منطقة نفوذ واستعمار لهم، في سبيل ذلك، لما كان

لهم من نفوذ في مختلف الأوساط الدولية والصحفية والمالية الأوكرانية والأميركية (1).

لقد رأت بريطانيا بالإضافة إلى ذلك في الحركة الصهيونية قوة نافعة لها، وهي احتجاجها في فلسطين إلى محام دائم، لأنها كانت تعتبر أن منطقة البحر المتوسط شريان حيوي لمصالح بريطانيا الآتية والمقبلة. فهو جسر بين الشرق والغرب، وممر طبيعي لآسيا وأفريقيا، ومتلقى طرق العالم، ولتأمين حماية ناجحة للمصالح الأوكرانية المشتركة، لا بد من السيطرة عليه وعلى شطته الجنوبية والشرقية.

إن الخطر بالنسبة إلى بريطانيا في هذه المنطقة يكمن في تحررها وتثقيف شعوبها، وتطويرها وتوجّه اتجاهاتها، لهذا ينبغي للدول ذات المصالح أن تعمل على استمرار تأثيرها وتقييمها، وإبقاء شعوبها مفكرة جاهزة متأخرة. وأن تعمل على محاربة اتحاد هذه الشعوب أو ارتباطها بأي نوع من الروابط الفكرية أو الروحية أو التاريخية، وإيجاد الوسائط العلمية لفصلها بعضها عن بعض (2)، لا سيما أن من يعيش في شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية بصورة خاصة.

محمد عزة دروزة: «أم آساة فلسطين»، دار اليقظة العربية، بيروت، ط1، 1988، ص 540.

أحمد عمران: «تشريح تاريخ الصهيونية»، دار المجدد، ص 349.

(1)
(2)
شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ واللغة والدين ومقومات التجمع عموماً، فضلاً عن نزعاته الثورية وثوراته الطبيعية الهائلة.

لذلك أخذت تعمل بريطانيا لإقامة حاجز بشري قوي وغريب، على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة، من قناة السويس قوة عدوى لشعوب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية، ومصالحها، هو التنفيذ العملي العاجل لـ السبل والوسائل المفترضة.1

انطلاقاً من ذلك أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الصهيونية، وراحت تعمل بكل نشاط وحرية في سبيل تحقيق مخططها الرامي إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين. وكانت الخطوة الأولى عند الصهاينة هي العمل لـ كسب الحكومة البريطانية لدعم قضيتهم، من خلال إسكان وايزمن في لندن حيث يمكن أن يكون على اتصال وثيق بالرسميين البريطانيين في الحكومة، وقد علم وايزمن في أول اجتماع له مع "لويد جورج"، رئيس لجنة المهام الحربية، أن الحكومة البريطانية بحاجة إلى طريقة لـ إنتاج مادة "الأسيتون" للمتفجرات بكميات

أحمد عمران: "تشريح تاريخ الصهيونية"، (المرجع نفسه)، ص350.

154
كبيرة. فابتكر وايزدن في سنة 1915، تلك الطريقة. عند هذه المرحلة، بدأت بريطانيا تنظر بشكل قاسٍ بعين الاعتبار في موقف رسمي أكثر تأييدًا للصهيونية.

وفي آذار 1915، بعث السير إدوارد غراي، بمذكرة إلى السير إدوارد بوشانان، السفير البريطاني في بطرسبورغ، ملخصًا فيها الآراء البريطانية حول العلاقة بين فلسطين واليهودية العالمية. وقد نصت هذه المذكرة التي كلف بوشانان بنقلها إلى وزير الشؤون الخارجية الروسية، مسائيروف، على أن الحكومة البريطانية مهتمة بإيجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء.

وبعد تقديم المذكرة إلى مسائيروف مباشرة، وصل ساكيكس، الوزير المساعد لوزارة الحرب البريطانية إلى بطرسبورغ ليبدأ المحادثات التي أدت إلى معاهدة ساكيكس بيكو، الشهيرة التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا وروسيا.

واتصل ساكيكس بعد ذلك بالفرنسيين، فاقتحم «جورج بيكو» المفاوض الفرنسي في معاهدة ساكيكس بيكو، بأن إلحاق اليهود الأميركيين بقضية الحلفاء أمر حيوي لزوج أمريكا.


لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية، (المرجع السابق)، ص 460.
في الحرب. ثم أقنع جورج بيكو بأنه يمكن اجتذاب اليهود الأمريكيين إلى قضية الحلفاء بمجرد وعدهم بأن توضع البلاد المقدسة بعد الحرب تحت إدارة مؤلمة للفلسطينيين. وبناء على ذلك بعثت الحكومة الفرنسية باليهودي "فكتور باش"، إلى الولايات المتحدة ليؤكد لليهود الأمريكيين أن المستعمرات اليهودية في فلسطين ستحصل حماية بريطانيا وفرنسا الكاملة بعد انتهاء الحرب. ولكن بعثة "باش" فشلت في استثارة حماسة كبيرة لدى اليهود الأمريكيين، فأخذ سايسك، يفقد اهتمامه بالصهيونية كوسيلة لزج أميركا في الحرب، رغم الأهمية الحيوية لدور اليهود أميركا.

عقدت دول الحلفاء العديد من الاتفاقات السرية للاقسام الشعائر بعد الحرب، فكانت اتفاقية "سايسك - بيكو" في 16 أيار 1916، تشكيل الاتفاقية الرابعة من سلسلة الاتفاقات الخمس الموقعة بين الحلفاء أساساً للاقسام أملاك الدولة العثمانية. تم توقيع الاتفاقية بين ممثل بريطانيا السير مارك سايسك، وممثل فرنسا السيد "جورج بيكو" مع إدخال بعض التعديلات على الاتفاقية الثالثة التي وقعت مع روسيا في 26

(1) جورج أنطونيوس: "بقعة الحرب"، ترجمة: ناصر الدين الأسدي، إحسان عباس، دار العلم للعلميين، بيروت، ط 7، 1982، ص 401.

(2) لوتسكي: "تاريخ الأقطار العربية"، (المرجع السابق)، ص 461.
نيسان 1916. وقد استثنيت روسيا من الحصة فيما بعد بسبب انسحابها من الحرب عقب الثورة البلشفية عام 1917، وتضمنت هذه الاتفاقية توزيع الولايات العربية تحديداً بين فرنسا وبريطانيا بعد تقسيمها.

كانت معاهدة سايكس-بيكو، إلى حد ما، مخالفة لرغبات الصهبة في أنها فرضت على فلسطين حكماً دولياً بدل انتداب تشرف عليه حكومة بريطانية مؤيدة للصهيونية.

ولكن المعاهدة من جانب آخر، لم تلمح إلى أية وعد للعرب، مما استبعد إمكانية حكم عربي، وأعطي للصهبة وقتاً ليغتصبوا فلسطين لأنفسهم. حينذاك كان عدد سكان فلسطين حوالي 700,000 نسمة. وكان لليهود في فلسطين 43 مستعمرة زراعية تبلغ مساحة أراضيها 400 ألف دونم، ويعمل عليها 12 ألف شخص، وفي ذلك الوقت أصبح مجموع اليهود في فلسطين 90 ألفاً، كان نصفهم يسكن مدينة القدس.

أدمون رباط: "الوسط في القانون الدستوري اللبناني"، دار العلم للملائين، بيروت 1970، ص 264.
علي عبد الستريني: "الراحل التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي"، دار الفكر، بيروت 1999، ص 36.
محمد رفعت بك: "قضية فلسطين"، دار المعارف، مصر 1948، ص 22.
لقد أدرك اليهود خلال الحرب العالمية الأولى، أن أمامهم فرصة ثمينة يستطعون الإفادة منها، فباشروا نشاطهم لدى حكومات المعسكرين محاولين استغلال أسباب العروض. وكانت أنظارهم تتجه نحو بريطانيا. فقد وضعا تحت تصرف الحلفاء أموالًا طائلة قدمتها المؤسسات والمصارف اليهودية في أمريكا خصوصاً، لتساعد على استمرار بريطانيا وفرنسا في الحرب ضد ألمانيا. والحق عدد كبير من اليهود بجيشه الحلفاء ليشكلوا فيها وحدات عسكرية خاصة بهم قاتلت في عدد من المعارك. وأظهر هذه المجموعات لواء كان يقاتل بقيادة الكولونيل "باترسون" اليهودي في النورماندي حين أراد الحلفاء فتح الطريق من هناك إلى روسيا. وكانت هناك مجموعة يهودية ثانية قاتلت مع جيش اللنبي بقيادة "جوزيف ترومبلور" في فلسطين، ومجموعة ثالثة بقيادة الكولونيل "جابوتشيكي"، وكان أفرادها يرتدين ألبسة الجيش البريطاني، إلا أن لهم علمًا خاصًا مع نجمة داود شعارًا لهم. وفي الولايات المتحدة تشكل لواء يهودي آخر من أفراده دافيد بن غوريون(1)، إلى جانب هذه المجموعات اليهودية الخاصة كان هناك الآلاف منهم قد حاربوا في جيوش الحلفاء وتحت أعلامهم باعتبارهم رعايا لتلك الدول، وساهموا في خدمة

هاني الهندي، محسن إبراهيم، "إسرائيل...", (المرجع السابق)، ص 62.

158
الحلفاء أيضاً عن طريق التجسس، وأشهر منظماتهم في هذا المجال نيلي التي تألفت غالباً عناصرها من يهود فلسطين.
وفي عام 1917، لاحظ بوادر النصر لبريطانيا وحلفائها، خصوصاً عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانبها. أما النهوض اليهود على الاندفاع في الضغط على الحلفاء لحقوقهم فيما هم يضاعفون خدماتهم لإنزال الهزيمة بالصين (1).
وقبل نهاية الحرب العالمية الأولى، قدم الزعيم الصهيوني البريطاني "صموئيل" إلى الحكومة البريطانية تقريراً عرض عليها في مشروع تأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت إشرافها، واقتراح حشد ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي أوروبى فيها. وقد برر مشروعه بجملته المشهورة: «فنكون بذلك قد أوجدنا بجوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موثودية لبريطانيا»، وتزامنت برتباطاً باستحسان الفكرة وكأنها تعرض لأول مرة، وأجرت مشاورات شكلية مع روتشيلد ووايزمن الزعيمين الصهيونيين، صدر بعدها في 2 تموز 1917 وعد بلفور (2).

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: "إسرائيل..."، (المرجع نفسه)، ص 63.
(2) شفيق الرشيدي: "فلسطين"، دار الكتاب العربي، مصر، 1968، ص 49.
وبعد توقف العمليات العسكرية للحرب العالمية الأولى، بدأت المنظمة الصهيونية ممارسة ضغوط كبيرة على سياسي بعض الدول كالولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا للتعجيل بقبولها إعلان وعد بلفور، والعمل على تطبيق نصه، وفسح المجال أمام اليهود لبسط سيطرتهم على فلسطين. وقد نجحت الجهود الصهيونية في تحقيق هدفها بذلك (1).

(1) أسعد رزوق: «إسرائيل الكبرى»، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968، ص 399.
الجهود الصهيونية

عشية صدور وثيقة بلفور

يقول حاييم وايزمن (1874-1952)(1) في بداية عام 1917: رأيت أنه قد حان الوقت لعمل شيء حاسم للحصول على تصريح قاطع يحفظ لليهود آمالهم في فلسطين، فقابلت اللورد بلفور، وكان معي البارون ليونيل روتشارلد ورنالد جراهام. وكان الاعتقاد السائد لدى الدواعر الصهيونية أن الاتصالات بالحكومة البريطانية قد طالت، وأن الوقت قد حان كي تعلن بريطانيا تأييدا لمطالبتنا، وقالت بلفور: «إن الدواعر الصهيونية في العالم تنتظر أن تعلن بريطانيا في تصريح رسمي، موافقتها على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين». ويقول وايزمن:

رحب بلفور بالاقتراح ووعدي بأن يعمل ما في وسعه من أجل إصدار بيان، تعلن فيه الحكومة البريطانية تأييدها للحركة

وُلد في سنة 1874 في مدينة موتول، روسيا البيضاء. يراجع كتاب: مذكرات وايزمن، دار الفنون، بيروت، ط1، 2006، ص 8.

161
الصهيونية، وطلب منا إعداد صيغة البيان المقترب، تمهيداً لعرضه على مجلس الوزراء البريطاني (1). رأى بعض الصهاينة أن ينص التصريح المرتقب على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، انطلاقاً من أن فلسطين يهودية، كما أن بريطانيا بريطانية وفرنسا فرنسية. ورأى المتعددون أن ينص التصريح على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، دون أي إضافات أخرى قد تعقَّد الموقف أمام بريطانيا.

اشتد الخلاف بين الصهاينة، حتى استقر الرأي على تشكيل لجنة لدراسة المشروعات المقدمة من الجماعات الصهيونية المختلفة، وإعداد مشروع واحد. وضمت اللجنة أئذين من أصحاب الفكر الصهيوني ومن ذوي النفوذ في الأوساط الصهيونية، وهما الكاتب الصهيوني "إحدها عام" والصحافي الصهيوني البارز "ناحوم سوكولوف"، كما انضم إلى اللجنة "وليونيل فالتر روتشفيلد"، وشارك وايزمن في عدة اجتماعات لهذه اللجنة التي كانت برئاسة روتشفيلد.

بعد الانتهاء من إنجاز المشروع عُرض على "مارك جambil عطية - صلاح عسي: "صاك المؤامرة" (المرجع السابق)، ص 52.
ساليكس، فقرأ ساليكس مشروع البيان في عناية، وتأمله طويلًا، ثم قال لوايزمن: إن البيان أطول مما يجب، وهو يتضمن تفاصيل دقيقة تمس فلسطيني العرب، فإني أرى أن يختصر إلى أكثر من النصف، على أن يقتصر على نقطتين:

أولاً: الاعتراف بفلسطين وطناً قوميًا للشعب اليهودي.

ثانياً: الاعتراف بالمنظمة الصهيونية.

وبعد أسابيع قابل وليزمن اللورد بلفور وكان قد أصبح وزيراً للخارجية البريطانية، وشرح له ملخصاً لما دار خلال الاجتماع مع ساليكس.

وفي حزيران 1917 ورد للصحافة من فرنسا وأميركا ما يفيد أن الفرنسيين والأميركيين لن يعترفوا، إذا أصدرت بريطانيا وعداً لمصلحة اليهود. مع الإشارة إلى أن اليهود البريطانيين المعادين للصهيونية وقفاً ضد المشروع، فقد نشر دافيد الكسندر، رئيس مجلس يهود بريطانيا، وكلود مونتينور، رئيس الجمعية اليهودية البريطانية، بيانًا في جريدة التايمز، هاجماً فيه الصهيونية هجومًا شديداً، مما سبب حرجاً شديداً لوزير الخارجية البريطاني بلفور.

(1) سليمان موسى: "الحركة العربية 1908-1924"، دار النهار، بيروت، ط2، 1977، ص 366.
المعارضة، تعهد لويد جورج وبلفور، أن الوعد التاريخي سوف ينجز في جلسة مجلس الوزراء البريطاني التي تنعقد في 2 تشرين الثاني 1917، وهذا ما حصل حيث وافق مجلس الوزراء البريطاني على الوعد بعد إجراء بعض التعديلات عليه:

- الصيغة القديمة تنص: «على حق اليهود في إعادة حياتهم القومية في فلسطين».

- الصيغة الجديدة: "إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين".

لقد نجح "مانتونجو" الوزير اليهودي الوحيد في وزارة لويد جورج في تغيير معاني الوعد، بحيث أصبح يؤكد على "وطن قومي" لليهود في فلسطين بدلاً من إقامة دولة يهودية في فلسطين، واسترجاع الحقوق التاريخية لهم (1).

ومما لا ريب فيه أن زعماء الحركة الصهيونية كانوا منذ البداية على بُنية من تطلع الاستراتيجية البريطانية إلى فلسطين، فأرادوا أن يستغلوا في سعيهم إلى إقامة دولتهم في فلسطين.

ففي كتابه عن "الدولة اليهودية" راح هرتزل ينوه بذلك، فهو يرى أن تكون الشركة اليهودية التي سيناط بها أمر استعمار فلسطين على شكل شركة مساهمة تحت حماية إنكلترا، وأن

(1) جميل عطية: (المرجع السابق)، ص 56، والمزيد من التفاصيل يراجع كتاب "المذكرات وآيامني" (المرجع السابق)، ص 30.
يكون مركزها الرئيسي في لندن باعتبارها غير معادية للسامية، كما أعلن أنه في حالة ما إذا حصلنا من السلطان العثماني على فلسطين، فإننا سنصبح هناك حاجزاً في وجه آسيا ومن ثم الحارس المقدم للمدنية في مواجهة البربرية.

وبينما كانت الدبلوماسية البريطانية تقع العرب بالحرب في صفها ضد السلطنة العثمانية، عن طريق الوعد بالدولة العربية الكبرى الشاملة لفلسطين، كان الوجه الثاني لهذه الدبلوماسية يظل على الصهيونية، ففي 2 تشرين الثاني 1917، حيث كانت بريطانيا قد اطمأنت نهائياً إلى ثمار دبلوماسيتها مع العرب، بأن تحققت الثورة العربية بالفعل في وجه الدولة العثمانية، من ناحية، وإلى ثمار وجه هذه الدبلوماسية مع الصهيونية كذلك، فقد دخلت الولايات المتحدة الأميركية الحرب بالفعل إلى جانب الحلفاء من ناحية أخرى (1).

لقد تحالفت بريطانيا والحركة الصهيونية لتنفيذ مخططات التجزئة في المنطقة على أن تعمل الصهيونية لاستخدام نفوذها لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء. كل هذا وبريطانيا تخطط لمستقبل بعيد وتعهد بتخطيطها

(1) محمد محمود الصياح وبعض المؤلفين: "المجتمع الغربي...", ص 348.
إلى سلخ جزء من الوطن العربي وإقامة "إسفين" وسط البلاد العربية في كل أقطارها.

وبعد أن أنهت الحكومة البريطانية مشاوراتها مع أميركا، صدر الوعد المنتظر في شكل خطاب أرسله اللورد بلفور إلى اللورد روشيلد (1).

سليمان موسى: "الحركة العربية... "، (المرجع السابق)، ص 367.

1
نصوص الخطاب الذي دخل التاريخ باسم تصريح بلفور، (وعد بلفور)

وزارة الخارجية
في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر 1917

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته،
التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عُرض على الوزارة وأقرته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جدياً أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي يتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به...»
تاريخ اليهود السياسي

اليهود في البلدان الأخرى. وسأكون شاكراً إذا ما أحظيت
الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح(1).

الخلاص
آرثر بلفور

بدأت الصهيونية نشاطها الفعلي في فلسطين بعد صدور
التصريح مباشرة، فجاء وابحث عن فلسطين على رأس لجنة
بريطانية إيطالية، فرنسية وأمريكية، كي تدرس الأوضاع فيها،
وتدرس مستقبل العلاقات بين الإنكليز واليهود، ووضع
مخططاً لتنظيم وتسهيل الهجرة، وتأمين الأراضي لإقامة اليهود
ربما تنتهي الأعمال الحربية. وكانت صلاحيات هذه اللجنة
أن تمثل الجمعية الصهيونية العالمية في فلسطين، وأن تعمل
بصفة هيئة استشارية للسلطات البريطانية في فلسطين في جميع
الشؤون المتعلقة باليهود تمهيداً لإنشاء وطن قومي للشعب
اليهودي انسجاماً مع التصريح الصادر عن حكومة صاحب
الجلالة(2).

(1) دافيد فرومكين: اسلام ما بعد سلام - ولادة الشرق الأوسط،
1914-1922، ترجمة: أسعد كامل إلياس، دار رياض الروس
للكتب والنشر، بيروت 1992، ص 319.
(2) زاهية قدرة: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (المرجع السابق)،
ص 196.
من المفيد أن نشير إلى بعض ما كتبه حاييم وايزمن في مذكراته حيث كان يعايش الوثيقة حتى إعلانها:

نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا في فلسطين، وقد انتدبنا الإنكليز لحكمها واستعنا في هذا بعصبة الأمم. فنحن الذين سلمتنا فلسطين إلى الإنكليز مؤقتاً وليس الإنكليز هم الذين وهرها لنا بعد ذلك.

لقد احتضنت بريطانيا الحركة الصهيونية منذ نشأتها وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب إلى اليهود في عام 1943، ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها العرب في فلسطين لم ينج مفعول هذا الاتفاق في الموعد المذكور.

ويقول وايزمن: بناءً على طلب اللورد بلفور، جرى تصحيح مشاريع الوثيقة من قناع غير مرة. و كنت أثناء اجتماع مجلس الوزراء البريطاني الذي يتداول كلمات الوثيقة أكثر من عشر ساعات، منتظراً في بهو المجلس، فكان بلفور يخرج المشاريع ليطلعني عليها، ومن ثم لوضع التعديلات الملائمة حتى تمت الصياغة النهائية التي أقرت والتي كنت قد كتبتها بخط يدي.

تاریخ اليهود السياسي

في هذه الأثناء نشأ بين الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا مشاركة وسعى لإقامة دولة يهودية في فلسطين لأنها أهم طرق التجارة العالمية، وعمدت إلى خلق حركات دينية تبشرية للتركيز على العهد القديم من أجل تهيئة عقول اليهود لقبول فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين.

- مؤتمر الصلح في باريس - فرنسا، شرعنة المشروع اليهودي:

في 18 كانون الثاني سنة 1919، عقد مؤتمر الصلح في باريس في قصر فرساي، بحضور ممثلين 27 دولة ما عدا روسيا فإنها لم تتمثَّل. وأشرف على هذا المؤتمر المؤلف من رؤساء الدول ووزراء خارجيةهم كل من: كليمنسو ويشون عن فرنسا، لويد جورج وليفورغ عن بريطانيا، وأورلاندو وسونينو عن إيطاليا، ويلسون ولانسنغ عن أمريكا، وماتكينو وماتسوي عن اليابان.(1)

وحضره فيصل بن الحسين مندوبًا عن العرب، وممثلًا لوالده الشريف حسين، وحضر وايزمن بصفته ممثلًا للحركة الصهيونية.

وقد قدم المؤتمر الصهيوني العالمي مذكرة إلى المؤتمر، طالب فيها بإنشاء الدولة اليهودية في فلسطين وشرق الأردن وجنوب لبنان، مستنداً إلى عهود ووعد قطعته له من بريطانيا ومن الحلفاء. وأبرز للمرة الأولى الصورة الكاملة لتصريح الحكومة البريطانية الصادر عن ‪بلفور‬، وزير خارجية بريطانيا. كما أشار إلى موافقة الحلفاء التامة على هذا التصريح. 

وهنا ظهرت المؤامرة على حقيقتها، فقد تملصت بريطانيا، كما تملصت فرنسا من اتخاذ أي موقف واضح وصريح من طلب العرب الاستقلال، ومن قضية فلسطين بشكل خاص. وطلبت وزارة الخارجية البريطانية من المنظمة الصهيونية إدخال تعديلات على خطة العمل للحد من المطالب المتطرفة ولقبولهم الانتداب البريطاني على فلسطين.

وتصدر الوفد الأمريكي بأنه لا علم له البنية بهذه المواضيع، واستناداً إلى مبادئ ‪ولسون‬، اقترح تأليف لجنة تحقيق ترسل إلى سوريا وفلسطين ولبنان للتحقق من رغبات بشارة الخوري: ‪حقائق لبنانية‬، (المرجع السابق)، ص 110.

صالح زهر الدين: ‪المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية‬، المركز العربي للبحوث والتوثيق، بيروت 1985، ص 61.

بشارة الخوري: ‪حقائق لبنانية‬، (المرجع السابق)، ص 110.
السكان الحقيقية في الحكم الذي يريدونه، واقترح الرئيس الأميركي أن تؤلف اللجنة من مندوبين من أميركا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا، فشكلت لجنة (كنج – كرين). 

وفي 28 حزيران سنة 1919، انتهى مؤتمر الصلح في فرساي إلى وضع ميثاق عصبة الأمم، ومن خلال توقيعه، كان واضحاً لمعظم الوفود التي مثلت الشعوب المحكومة أن الحلفاء قد تخلوا نهائياً عن المبادئ التي نادوا بها خلال الحرب. وكذلك عن وعودهم وعهودهم التي قدموها أو أبرموها مع هذه الشعوب.

فقد توصلوا في مؤتمر الصلح إلى الوسيلة والاسم الجديدين للاستعمار، وأطلقوا على هذا الاكتشاف الجديد اسم الانتداب.

فتضمن ميثاق عصبة الأمم هذا المبدأ كدستور لحل مشاكل الأقطار والشعوب التي كانت تحكمها ألمانيا أو تركيا. وكان أول عمل يقوم به مؤتمر الصلح فيما يتعلق بفلسطين هو النص المتضمن في المادة 22 من ميثاق العصبة

(1) أسعد رزوق: "إسرائيل الكبرى"، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968، ص 399.
(2) حسان حلق: " موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1887-1909)", الدار الجامعة، بيروت، ص 224.
والداعي إلى إقامة انتدابات مؤقتة في بعض المجتمعات التي كانت في السابق تابعة للأمبراطورية التركية (1).

وفي 25 نيسان 1920، انعقد في مدينة سان ريمو في إيطاليا المجلس الأعلى للحلفاء، وقرر بناءً على المادة (22) من ميثاق عصبة الأمم، وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني (2)، وقد أدرج وعد بلفور واعتبر جزءًا من المعاهدة. وبذلك أعفي الوعد طابعًا دوليًا خاصًا، إذ سجل رسمياً لدى عصبة الأمم. ووافق دول الحلفاء على أن تكون الدولة المستندة على فلسطين مسؤولة عن تنفيذ البيان الذي صرح به جلالة ملك بريطانيا «بيان بلفور». وقبلت هذه الدولة أن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي. وحدثت مسؤولية بريطانيا بالعمل لجعل البلاد في وضع سياسي وإداري واقتصادي يسهل إنشاء الوطن القومي اليهودي.

والجدير ذكره أن إعلان الانتداب يقع في 29 مادة، منها
سبع مواد تنصب على مسألة الوطن القومي اليهودي (3).

قدم بلفور مسودة الانتداب إلى مجلس عصبة الأمم

 آلن تايلر: "تاريخ الحركة الصهيونية"، (المرجع السابق)، ص 42.
 هاني الحندي، محسن إبراهيم: "إسرائيل«، (المرجع السابق)، ص 67.

(1) (2) (3)
للموافقة عليها في كانون الأول 1920. وقد صدرت وثيقة الانتداب نهائياً سنة 1922، حيث كانت بمثابة نصر صهيوني.

فقد اعترفت الوثيقة بارتباط اليهود بفلسطين، وضمن تصريح بلفور في صك الانتداب، ومعاهدة سيفر مع تركيا، ومنح يهود فلسطين حق إنشاء مؤسسات ذات حكم ذاتي، والتزامت سلطة الانتداب بتسهيل الهجرة اليهودية، وسنت القوانين لإنشاء وكالة يهودية تساعد الإدارة. (1)

(1) ألان تايلر: "تاريخ الحركة الصهيونية"، (المرجع السابق)، ص 45.
الفصل الخامس

يهود بعض البلاد العربية
تاريخ يهود العراق

الكثير من الباحثين يحددون تاريخ ظهور أول مجموعة يهودية في العراق منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد. وأن هذا التاريخ يأتي متطابقاً مع تاريخ السبي الآشوري إلى شمال العراق بحدود 626 ق.م، طبقاً لسياسة الإمبراطورية الآشورية في تشتيت الأسرى الواقفين تحت سيطرتهم إلى عدة مناطق نائية منعزلة عن أي تجمع سكاني. وهكذا فقد وزّع الآشوريون سبأهم من اليهود إلى المناطق الجبلية(1).

ويقدر الرحلات في عمان عام 1165م عدد اليهود في البلاد العربية الإسلامية باستثناء المغرب، بنحو ثلاث مئة ألف يهودي، في حين أن "ربني بنامين" الذي سافر بعده بعشرين عاماً يقدر عدد اليهود في العراق وحدها بست مئة ألف يهودي ويقول إن اليهود كانوا متجمعين بكثرة على نهر

(1) نجلاء عز الدين: "العالم العربي"، ترجمة: جماعة من الأساتذة، القاهرة (بدون تاريخ)، ص 300.

177
تاريخ اليهود السياسي

الدلالة والفرات، حيث يوجد معظم المدن والقرى بين نينوى ودجلة (1).

خلال القرن التاسع عشر، ما بين سنة (1816-1837)، بلغ عدد اليهود في بغداد حوالي 7000 آلاف يهودي (2).

أما في إحصاء عصبة الأمم عام 1924، أثناء مشكلة الموصل تبين أن عدد اليهود فيها 359 نسمة فقط. وفي العام نفسه، قامت حكومة الاحتلال البريطاني بإحصاء عدد اليهود في العراق، فكان عددهم 87448 نسمة، موزعين على خمس عشرة مدينة عراقية أكبرها مدينة بغداد حيث يقطنها 50,000 يهودي (3).

أما في إحصاء عام 1947، بلغ تعداد اليهود في العراق 77877. وفي إحصاء عام 1957، فلم يكن من أبناء الطائفة اليهودية سوى بضعة آلاف من العوائل المتمركزة في بغداد.

وقدر عدد أبناء الطائفة اليهودية بعد عام 1967 ما بين

١. آدم متر: "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري"، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ص 82.


٣. يعقوب يوسف كوريا: "يهود العراق، تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم"، دار الأهلية، عمان، الأردن 1998، ص 16.
يوجد بعض البلاد العربية

2500 و3000 فرد بينهم عدد كبير من الأغنياء وذوي الاختصاصات. وفي أواسط الثمانينات بلغ عدد يهود العراق حوالي 500 نسمة(1).

أما على الصعيد التعليمي، انتشرت المدارس اليهودية في العراق. ففي العام الدراسي (1920-1921)، بلغ عدد التلاميذ الذين ضمته المدارس اليهودية 8228 تلميذاً وتميذاً، وهو رقم كبير موزع على 26 مدرسة في خمس مدن عراقية(2).

عاش يهود العراق جنباً إلى جنب مع بقية المواطنين العراقيين، يزاولون أعمالهم بكل حرية ونشاط حتى جاءت العصابة الصهيونية التي حاكم مؤامرة هجرة اليهود العراقيين للاحتفال به «أرض الميعاد» فلسطين.

حاولت المنظمات الصهيونية إرسال بعض الصحف الصادرة في فلسطين المعنية في الشؤون الصهيونية إلى العراق ليطلع عليها الشباب اليهودي، ولكن الجهات الوطنية العراقية في بغداد عملت على منع دخول مثل هذه الصحف، مما أثار حفيظة السفارة البريطانية. ولما وجدت الصهيونية أن كل التحركات في سبيل المزيد من هجرة اليهود لم تكن

(1) يعقوب يوسف كورية: «يهود العراق»، (المرجع نفسه)، ص 17.
(2) يعقوب يوسف كورية: «يهود العراق»، (المرجع نفسه)، ص 67.
الاستفادة من الهجرة إلى أرض فلسطين، فألفت بعض القنابل على دور العبادة والنوادي ومجموعة من بيوت اليهود في أنحاء مختلفة من بغداد(1). وأخذت المنظمة الصهيونية تشن حملات واسعة لإرهاب اليهود وتهددهم من اليوم الآسرود الذي سيظهرهم في العراق وأنهم سيقتلون ويجبحون وتسلب أموالهم عاجلاً أم آجلاً. وفي العام 1948، عندما بدأت الحرب العربية الإسرائيلية وما آلت إليه من اغتصاب صهيوني لأراضي عربية، ومهزلة التقسيم وقيام الكيان الصهيوني، أجمعت الصهيونية العالمية على القيام بأكبر حشد سكاني في الكيان المذكور، ليكون دواعً وافية لأمن إسرائيل من جهة، ولتأمين أبعد عاملة لدعم الاقتصاد الإسرائيلي من جهة أخرى، وعليه تقرر القيام بما يلزم لتهجير اليهود أينما وجدوا، من أجل هذا السبب اجتهد الأمراء إلى هجرة إسرائيل 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الأول، بيروت 2004، ص 23.
كرى. وقد أيقن الصهاينة أن أقوى عامل يجعل يهود العراق في رعب دائم، ومن ثم الزعزعة والهجرة هو العنف ولا شيء غير العنف. فمنذ تاريخ 8 نيسان 1950 بدأت أعمال العنف تستهدف اليهود في العراق، فانفجرت قنبلة عند كنيس «مسعود شمطوب»، وفي عدة مناطق حيث يوجد يهود.

أما اليوم، فاستحدثت «دولة إسرائيل» دائرة «شؤون المتقاعدين الإسرائيلية» دائرة جديدة غايتها البحث عن أملاك اليهود الذين هاجروا من الدول العربية واستعادتها، مشيرة إلى أن من بين هذه الأملاك أراضي وبيوتاً وحتى آبار نفط. وقد أشارت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية في هذا المجال إلى أن عدد اليهود الذين هاجروا من الدول العربية إلى إسرائيل بعد قيامها يبلغ اليوم نحو مليون يهودي، وأضافت أن هؤلاء اليهود هم لا يجرون فقدوا أملاكهم التي يصل حجمها إلى عشرات مليارات الدولارات، وأن الدائرة الحكومية الإسرائيلية المستحدثة بدأت الإعداد لتقديم دعاوى قضائية لاستعادة الأملاك من الدول العربية، وذلك على غرار الدعاوى التي أقيمت في الماضي من قبل اليهود الذين هاجروا من أوروبا في أعقاب «المحرقة النازية» لاستعادة

(1) إسرائيل 2020...، (المراجع نفسه)، ص 24.
منازلهم وأملاكهم\(^1\) وأشارت صحيفة "يديعوت" إلى أن إحدى الدول المركزية التي يتجمع فيها عدد كبير من الأملاك التابعة لليهود هي العراق، ووفقاً لتقديراتهم فإن 130 ألف يهودي تركوا أملاكاً يصل حجمها إلى عشرة ملايين دولار أميركي في الدول العربية، وتشمل الأملاك التي يدعي اليهود أنهم تركوها في العراق وغيرها من الدول العربية، اليوت والحوانيت والمؤسسات التجارية والحسابات المصرافية، إضافة إلى مؤسسات عامة مثل كنيس وقاعات ومدارس وملابس للمستقبل.

فإن دائرةشؤون المتقاعدين الإسرائيلية، ستطالب اليهود الذين جاؤوا من الدول العربية بتجهيز نماذج يفصلون فيها الأملاك، وستعمل على جمع أذلة على تملكهم لها. كذلك تعترض الدائرة مطالبة الدول العربية بتعويضات على المس بحقوق اليهود من خلال سحب مواطنهم، وسلب حريةهم ومنعهم من الدراسة وحقوق التقادم التي لم تدفع. وبعد ذلك سيتم إعداد ملف قضائي لكل واحد من "اللاجئين" اليهود حسب زعمهم، وتقديم دعاوى لاستعادة الأملاك مباشرة أو عبر طرف ثالث\(^2\).

---

(1) جريدة السفير، تاريخ 22 تموز 2010.
(2) جريدة السفير، تاريخ 22 تموز 2010 (المرجع نفسه).
اليهود في اليمن

لقد انتشرت اليهودية في اليمن على أثر خضوع فلسطين «الأديانوس» وطيطس، ودمير بيت المقدس سنة 70م(1). وأخذ ساعد اليهود يشدد حتى إذا أقبل القرن السادس للميلاد صارت لها صولة في اليمن(2). وقد استطاع يهود اليمن أن يؤثروا في أحد ملوك التتابعة هو ذو نواس، وأن يدخلوه في دينهم. وقد دفعه دفعاً إلى التنكيل بنصارى نجران، مما شكل حجة لنصارى الحبشة لكي يستولوا على بلاده بدون مقاومة. وأزالوا دولة «ذي نواس» سنة 525م، وظلوا خمسين عاماً حتى أجلاهم عنها أهلها بمساعدة الفرس. ولكن وجود نصارى الحبشة كان السبب في تفرق اليهود، وخروج عدد كبير منهم من اليمن وتشتتهم في البلاد وخارجها(3). وذهب اليهود إلى الحجاز، وكانوا قبائل وجماعات كثيرة انتشرت في

أحمد أمين: «ضحى الإسلام»، دار الكتب العربي، الجزء الأول، ص 325.
فليب حتي: «تاريخ العرب»، دار غندور، بيروت 1974، ص 97.
شوقي ضيف: «العصر الجاهلي»، دار المعارف، القاهرة 1960، ص 98.
واحات الحجاز: يثرب وخيربر ووادي القرى وتيماء، وسكن في يثرب ثلاث قبائل يهودية: بنو النضر وبنو قريظة وبنو قنبع. وقد نزل بينهم الأوس والخزرج اللتان نزحتا من اليمن حوالي سنة 300م. وكانوا يعملون في الزراعة والصياغة والحدودة وصناعة الأسلحة ونسج الأقمشة(1). وكانوا يعمدون عمداً إلى الإيقاع بين القبائل العربية. فقاوموا الإسلام وأظهروا له العداء والبغضاء، فحاربهم المسلمون وانتصروا عليهم، على أثر ذلك خرج العدد الأكبر منهم من الجزيرة العربية، ولم يبق منهم إلا نفر قليل(2).
يُهود سوريا

كانت الطائفة اليهودية في سوريا من أقدم الطوائف اليهودية في العالم. فقد ارتحلت قلّةً من يهود إسبانيا، وعدد من يهود فلسطين، طوال الفترة الممتدة من القرن السادس، وقد عاش اليهود في أحياء خاصة بهم. وكان الفيتو اليهودي في دمشق يسمى "حارة اليهود"، حيث عاش فئة في أغنيائهم وفراؤهم على السواء. كما سكن قسم كبير منهم في مدينة حلب. وحتى القرن الثامن عشر لم يتجاوز عددهم بضعة آلاف، وأقام بعضهم في حمص وحماه وكانوا قلّة(1).

وقدّر الرحلّة اليهودي "بنيامين هشيني" الذي زار المنطقة عام 1848، عائلات اليهود في دمشق بـ 600 عائلة، وفي حلب بـ 2000 عائلة.

وفي إشارة أخرى إلى الطائفة اليهودية في سوريا يذكر الكاتب "أ. فنackle" في كتابه "إلى القدس"، أنه في عام 1856، قُدر عدد يهود دمشق بـ 5000 نسمة، وكان منهم 50 يهوداً من أصل إيطالي، عاشوا في كنف قنصل النمسا.

(1) "جريدة السفير"، تاريخ 24 تموز 2010.
وخلال تلك الفترة احتل بعض اليهود مراكز رئيسية في إدارة شؤون الدولة وذلك بموافقة عثمانية (1).
وفي بداية القرن التاسع عشر كان أحد أبناء عائلة فرحي وهو "روفائيل بن فرحي" وزيراً للمالية في دمشق. وكانت السلطنة العثمانية قد سمحت للطائفة اليهودية بتأسيس المدارس وإدارتها، وإنشاء المعاهد الدينية الخاصة بهم. وتمكنت مدرستا الأليانس في حلب ودمشق من أن تجلب إلى اليهودي الثقافة الأوروبية في غلاف فرنسي يهودي (2).

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، وحسب المصادر العثمانية، فقد توقفت الهجرة اليهودية إلى سوريا، ومعها تضاءلت حركة الزيادة في تعداد اليهود بسبب سوء الحالة الاقتصادية، وأحداث (1840-1861). وفي الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر قدر عدد اليهود في دمشق بـ 6265 ألفاً.

خلال الحرب العالمية الأولى، ظهرت بوادر حركة

---

(2) "جريدة السفير"، تاريخ 24 تموز 2010.
صهيونية بين يهود سوريا ساهمت في الدعاية التي أدّت إلى نقل العديد منهم إلى فلسطين.(1)

وقبل الهجرة اليهودية الكبرى من سوريا عام 1947 كان عدد اليهود فيها حوالي 13 ألفاً. وفي هذا السياق أشار "إبراهيم أبو حمزا" الرئيس السابق للطائفة اليهودية في سوريا، إلى أنه منذ شهر نيسان عام 1992 حتى شهر نيسان من العام 1993، غادر سوريا 2500 يهودي توجهوا إلى الولايات المتحدة الأميركية.(2)

(1) جريدة السفير (المرجع نفسه).
(2) جريدة السفير (المرجع نفسه).
يهود لبنان

وجود اليهود في لبنان، يرجع إلى فترة قديمة تعود إلى فترة ثورة "باكوخبا" التي حصلت عام 132م، حيث هرب اليهود من بطن الرومان، واستوطنوا بعض المناطق في لبنان. أما القسم الأكبر دخل إلى لبنان آنئياً من الأندلس. وقد انتشروا في بعلبك وطرابلس وبيروت وصيدا. كما أقامت أعداد محدودة من اليهود في بعض مناطق جبل لبنان، منها دير القمر، وكذلك في حاصبيا. وقد حافظت على وجودها في هذه الأماكن طوال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ويذكر الرحالة اليهودي "داوود" أنه أثناء تنقله في أوساط الطائفة اليهودية في لبنان، وجد انتشاراً مكوناً من 15 أسرة في بيروت وطرابلس (1).

وفي العام 1924 بلغ عدد اليهود في لبنان نحو 6261 نسمة، وارتفع عددهم بعد عام 1947 بقدوم مهاجرين جدد من سوريا إلى 11 ألف مهاجر، انتقل منهم 6 آلاف يهودي

(1) صموئيل أتينجر: "اليهود في البلدان الإسلامية"، (المرجع السابق)، ص 171.
إلى "إسرائيل". وقد عمل غالبية اليهود في لبنان بالتجارة والصيغة والسياحة والترفيه. وبلغ بعضهم مراكز عالية في المصارف اللبنانية.

وقد منح الدستور اللبناني الصادر عام 1926، اليهود كغيرهم من الطوائف الحقوق السياسية والإدارية كاملة.(1)

وفي العام 1947، دخلت "شولاميت كوهين" كعميلة للموساد الإسرائيلي إلى بيروت، وكانت قد انتقلت على أثر زواجها من "جوزيف كيشيك"، وهو تاجر يهودي في لبنان كان يملك متجراً في سوق سررق في وسط بيروت. وكانت تستقبل زبائنتها في بيته في منطقة وادي أبو جميل، وهو الحي اليهودي القديم في وسط بيروت. وكان عملها في مجال "الدعارة" مقدمة للوصول إلى ما تريده ك Agricultura للموساد. وفي عام 1956 وشعت شولاميت كوهين أعمالها، فقد أصبحت تملك خمسة بيوت إضافية في مناطق مختلفة من بيروت. وقد جهّز الموساد شولاميت بكل أجهزة التسجيل اللازمة، مثل آلات التصوير السرية لثبيتها في غرف النوم.(2)

وفيما بعد استأجرت مطعماً في شارع الحمرا في بيروت، وحولته إلى حانة أسمتها "رامبو باب".

(1) "جريدة السفير"، تاريخ 24 تموز 2010.
(2) "جريدة السفير"، تاريخ 23 نيسان 2010.
لقد ساعدت الشبكة التي أسستها شولاميت كوهين على تهجير يهود لبنان، وهدف عرب إلى فلسطين المحتلة عبر العمارات الجبلية اللبنانية. كما قامت برفقة المتآمرين معها بسرقة الملايين من بنوك وشركات لبنانية، وتم تهريب الأموال إلى "إسرائيل". ويوم 9 تموز 1962، أي بعد 14 عاماً من التجسس والعمل للموساد أوقفها الجيش اللبناني، إضافة إلى عدد من الذين عملوا معها في شبكتها التجسسية، وذلك بعد عملية أمنية قادها الضابط اللبناني في سلك المخابرات اللبنانية "جورج بركات".

وفي 25 تموز 1962، حكم على شولاميت كوهين بالإعدام قبل أن يخفف حكمها إلى السجن لمدة 20 سنة. ولكن في عام 1967 أطلق سراحها في عملية تبادل أسرى بعد حرب الأيام الستة(1).

فالطائفة اليهودية التي كانت تضم أكثر من 22,000 يهودي في العام 1948، انحصرت بـ 3000 شخص بعد حرب 1967. وبعد السنة الأولى من الحرب في العام 1976، لم يبق منهم إلا 500 يهودي لبناني.

اليوم لا يتعدي عدد اليهود في لبنان 200 شخص معظمهم كبار في السن. لا نعرف شيئاً عنهم، يوجد كم...

(1) "جريدة الديار"، تاريخ 23 نيسان 2010.
وأحد ما حدا ب يعرف شيء منهم) هذه الأجوبة التي تصادفنا عندما تسأل عن يهود لبنان، وفي حال نجحت في الوصول إلى أحدهم لا يجب أن يفاجئك رفضه القاطع للكلام. والجدير ذكره أنه ما زال في لبنان طائفة يهودية معترف بها رسمياً، تتتألف من العشائر يقيمون في ضواحي بيروت الشرقية، وأن ممثل هذه الطائفة المدعو جوزف مزراعي، كان يقيم في بيروت حتى العام 2003 قبل أن يغادر إلى فرنسا (1).


191

ولا أسطيح: "يهود لبنان"، النشرة الإلكترونية اللبنانية، تاريخ 22 آب 2009.
العرب الذين هربوا إلى إسرائيل، لكن لم يكن أي بلد آخر مستعدًا لاستقبالهم كلاجئين. وليهود طائفة تحولت إلى مجموعة من الأفراد تبحث عنهم فلا تجدهم، وإن وجدت أحدًا منهم، فهو يرفض التحدث مع أحد، وإن تحدث فكلامه مختصر جداً. مع الإشارة إلى أن الوجود اليهودي في لبنان تاريخي يسنده عليه من خلال أسماء بعض الشوارع التي عُرفت بهم، وبخاصة في بيروت تحت اسم "قوادي اليهود"، أو في صيدا باسم حارة اليهود. وفي طرابلس حيث يوجد 43 يهودياً مسجلاً على لوائح الشطب الصادرة عام 2009، عاش حتى سنة 1948 حوالي 150 عائلة كانت في حي اليهود الذي ما زال حتى اليوم. وكانوا يتفاعلون مع السكان، ويعملون في المهن التي تتطلب عملًا دقيقًا، فيصبغون الملابس وينسجون الحرير، ويعملون في الذهب والتجارة ويشترون العقارات. وهذا الوجود موثق حتى اليوم عبر تخصص صناديق اقتراح لليهود في كل الانتخابات التي حصلت بعد الطائف 1990، برلمانية كانت أو بلدية أو انتخابية، وسجلات وزارة الداخلية في لبنان تطلق عليهم اسم الطائفة الإسرائيلية.

(1) يولا أسطيح: "يهود لبنان"، (المرجع نفسه).
(2) "جريدة صدى البلد"، تاريخ 25 آب 2008.
(3) "جريدة المستقبل"، تاريخ 18 نيسان 2011.
وقد ضمت لواء الضبط التي جرت على أساسها الانتخابات النبوية للعام 2009، 5390 يهودياً لبنانياً، انتخب منهم 5 أشخاص في دائرة بيروت الأولى.

يهود لبنان يطلقون أعمال ترميم كنيس "ماغن دايفد إبراهيم" الموجود في وادي أبو جميل، وسط بيروت. وأبناء الطائفة اليهودية في لبنان هم المعنيون والمملونون مالياً للترميم الذي قد يستغرق عاماً، والمبلغ المطلوب يصل إلى حدود المليون ونصف المليون دولار. وليس بعيداً عن كنيس "ماغن دايفد إبراهيم" في وادي أبو جميل المدفن اليهودي في السويدوكي، وسط بيروت، الذي يحرسه رجل يهودي يهتم بتنظيمه، والقبور اليهودية في السويدوكي يعود بعضها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى لترتفع الزمن عند 1975(1).

أما العائلات اليهودية اللبنانية الأبرز هي: مزراحي، مغربي، ببنحار، كوهن، سرور، درويش، زيتوني، ليفي. أما ما تبقى من معالم يهودية إلى جانب كنيس وادي أبو جميل، ومقرة السويدوكي، مدرسة عبرية مهجورة، ومدفن مهجور في صيدا لجهة الجنوب، وكنيس في دير القمر مقفل منذ العام

(1) يولا أسطيح: "يهود لبنان" (الرجع السابق).
تأريخ اليهود السياسي

عام 1977(1). أما في طرابلس وبيروت وصيدا، فلا يزال هناك معابد مهجورة، أفلت أيضاً منذ اندلاع الحرب اللبنانية في العام 1975(2).

(1) يولا أصطيح: "يهود لبنان"، (المرجع نفسه).
(2) "جريدت السفير"، تاريخ 8 آيار 2010.
اليهود في مصر

تعود علاقة اليهود بمصر إلى زمن نزول أولاد يعقوب فيها، وبقاء بعضهم بعد خروج النبي موسى من مصر. وإن كان ثابت تاريخياً وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد.

وعند الحديث عن الأوضاع اليهودية في مصر، يمكن التأكيد أن الطائفة اليهودية شهدت خلال القرن التاسع عشر، ومنذ أن تولى محمد علي باشا البلاد (1805-1848)، تطوراً وازدهاراً. وفي عهد الخديوي إسماعيل كان معظم المستثمرين من اليهود. وقد بلغ عدد أبناء الطائفة اليهودية عام 1897، 50,000 نسمة.(1)

وكان ليهود مصر علاقات قوية بفلسطين، وذلك لعدة عوامل. لكن الحركة الصهيونية حاولت استغلال هذا الأمر لتمد نشاطها باتجاه يهود مصر، فزور هرتزل مصر عام 1904، لبحث مشروع الاستيطان اليهودي مع السلطات،

واستباهت العائلات الرأسمالية اليهودية، وكان هذا بداية نشاط صهيوني تجلّى في تأسيس عدد من يهود الإسكندرية عام 1908 جمعية "بني صهيون" التي أيدت مقررات مؤتمر "بال".

ثم تألفت جمعية أخرى حملت اسم "زئير صهيون". وفي بدايات الحرب العالمية الأولى (1914-1915)، رحلت الدولة العثمانية عدداً من يهود فلسطين وسوريا لقيامهم بنشاطات معادية للدولة، فاستقبلتهم الحكومة المصرية لدواع إنسانية، وكُونت لهم مركزاً للاجئين في الإسكندرية، وشكلوا فيما بعد فرقة يهودية سميّت "راكي البغال", خدمت قوات الحلفاء في العمليات العسكرية.(1)

وفي عام 1942، كان الرأسماليون اليهود يساهمون في إدارة عشرات الشركات المتنوعة، كما كانوا يسيطرون على جانب كبير من رؤوس أموالها. وكانت تجارة الذهب والقطن والمنسوجات، هي أهم الأدوات في الاقتصاد المصري في أيدي اليهود. وبلغ إسهام اليهود في الحياة السياسية المصرية القلمة بتعيين أول وزير يهودي في تاريخ مصر الحديث ألا وهو "يوسف قطاوي باشا" الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول سنة 1924، وقد أتت الحركة الصهيونية العالمية اهتماماً كبيراً لمصر لعدة اعتبارات أهمها أن مصر

(1) مجلة فلسطين، العدد 131، شباط 1972، ص 34.
تقع على أبواب فلسطين، وفيها طائفة يهودية كبيرة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في خدمة الصهيونية.1 وبعد الاحتلال البريطاني، فتحت البلاد أمام الأجانب، فكان من نتيجة ذلك تواجد اليهود إلى مصر حتى بلغ عددهم طبقاً لإحصاء عام 1947 نحو 63965 نسمة، منهم 5 آلاف حاصلون على الجنسية المصرية.
وفي العام 1948 وصل عدد اليهود في مصر إلى 80,000 نسمة، كان ثلاثون ألفاً يحملون الجنسيات الأجنبية.2.
وفي مصر تمتعت الطائفة اليهودية بموقع مميز، حيث تغلغل أفرادها في معظم مجالات العمل الاقتصادي، في التجارة والصناعة والمصانع، وفي ميدان النشاطات المالية حيث ساهم يهود مصر في إنشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين.
وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945، برزت إلى العلن جملة تناقضات بين الحركات الوطنية من جهة، وبين الاستعمار من جهة أخرى.3. أندفع الصهيونيون يسيطرون على التعبيرات العلنية

1. إمجلة فلسطين، العدد 131، شباط 1972، ص 34.
3. عبد القادر عامين: "القضية الفلسطينية«، (المرجع السابق)، ص 74.
للطائفة اليهودية في مصر، كالنوادي وفرق الكشافة، وسيطر الاتجاه الصهيوني على "مكابي القاهرة"، واستخدامه في الإعداد لتهجير اليهود إلى فلسطين، بالمحاضرات، والتهيئة الإيديولوجية، وتوزيع التصاريح لدخول فلسطين (1).

أما على صعيد الصحافة، فقد بدأت علاقة اليهود بالصحافة المصرية مبكراً حينما أصدر "يعقوب ضو" صحيفتين باللغة الفرنسية، والأخرى جريدة هزلية وهي المعروفة باسم "أبو نضارة". وقد تنوعت أهداف اليهود من وراء إصدار هذه الصحف ما بين صحف صدرت مدعومة من بريطانيا أو فرنسا كصحيفة "الحقيقة" التي صدرت عام 1889. كما سعى بعض اليهود في الوقت نفسه لإصدار بعض الصحف لكسب ثقة الحركة الوطنية حينها. فقد أصدر ليون كاسترو رئيس فرع المنظمة الصهيونية العالمية في مصر جريدة حملت اسم "الحرية" في عام 1921 باللغة الفرنسية لخلق رابطة بين الحركة الوطنية في مصر والحركة الصهيونية باعتبارها حركة وطنية تحارب عدواً مشتركاً هو بريطانيا (2).

كما صدرت بعض الصحف لدعم المشروع الصهيوني

(1) سهام نصار: "صحافة اليهود في مصر بين ادعاء الانتماء وتكريس العزلة" (محاضرة)، الندوة السنوية لجمعية الدراسات التاريخية، القاهرة، تاريخ 22/4/2008.

(2) أحمد غنيم وأحمد أبو كوك: "اليهود والحركة الصهيونية في مصر"، (المرجع السابق)، ص 21.
فقط، ولتكوين أرضية جيدة له داخل الطائفة اليهودية، وكان بعضها يتبنى المشروع القومي اليهودي حتى قبل مولد الحركة الصهيونية رسمياً في مؤتمر "بال" عام 1897، ومن أهم تلك الصحف صحيفة "نهضة إسرائيل"، التي صدرت عام 1890، و"الرسول الصهيوني" عام 1902، و"مصرام" عام 1904، وبعدها توالى العديد من الصحف الصهيونية "الشمس" والمجلة "الصهيونية"، و"الفجر" و"كاديميا" والصوت اليهودي والمنبر اليهودي (1).

لقد اهتمت هذه الصحف بالدعوة إلى إصلاح أوضاع الطائفة اليهودية في فلسطين. وقامت تلك الصحف بنشر الوعي بالفكرة الصهيونية، والدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين. كما ساهمت بشكل كبير في الدعوة إلى جمع التبرعات للصناعات الصهيونية المختلفة (2).

كانت العائلات اليهودية قطاويا وسواس ومنسي وحوصيري في مصر، الركيزة الأهم في الميدان الاقتصادي، لدرجة أنهم كانوا مواطنين من النخبة، خصوصاً الثقافية والاقتصادية، حيث كانوا يملكون قبل ثورة 1952، 103 شركات من إجمالي 308 شركات مسجلة في مصر. وعلى

سهام نصار: "صحافة اليهود...", (المرجع نفسه).
سهام نصار: "صحافة اليهود...", (المرجع نفسه).
هذا فقد لعبت العائلات اليهودية دور الوسيط لرأس المال الأوروبي في المجتمع المصري، أي دور الجماعة الوظيفية المرتبطة بالاستعمار الأجنبي (1). ومع تزايد القوى الوطنية ونشاطها في القطاع الاقتصادي تراجع نشاط الجاليات الأجنبية بما في ذلك نشاط العائلات اليهودية، جاء ذلك مع إلغاء الامتيازات الأجنبية وصدر قوانين التمصير عام 1947، ثم قيام الثورة عام 1952، وتوجهاتها الاقتصادية القومية التي تبلورت بشكل واضح في قرارات التأميم التي كانت موجهة ضد الممولين الأجانب والمصريين الذين كانت ترى الثورة أن نشاطهم يرتبط الاقتصاد المصري بعجلة الاستثمار الأجنبي، ويعوق عملية التنمية من خلال الدولة. وهذا ما دفع غالبية أفراد العائلات اليهودية عام 1957 إلى الهجرة إلى أوروبا بعدما شعروا بتضاؤل الأرباح وانكماش المناخ الاستثماري في مصر (2).


(2) منى محمود منازع: «اليهود والاستثمارات»...، (المرجع نفسه).
يهود المغرب العربي

بدأ وجودهم في المنطقة بعد اضطهادهم دينياً في إسبانيا، وفرارهم إلى شمال أفريقيا، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وفي القرن العشرين في أعقاب التفغل الأوروبي. وعندما احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830، وتونس عام 1881، والمغرب عام 1882 عمدا إلى خلق تكتلات يهودية منفصلة بين السكان، وشجعهم ليكونوا مراكز في وسط الأوروبيين المستعمرين. لذا أصبح اليهود والأوروبي في فترة الاحتلال مجتمعاً واحداً، وهذا ما دعاهم إلى الخروج بأعداد كبيرة من شمال أفريقيا بعد انتهاء الحكم الفرنسي (1).

وفي نهايات القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر كان للمهاجرين اليهود الذين قدموا من المغرب العربي تأثير ملحوظ في الاستيطان اليهودي في فلسطين. وشهدت هذه الفترة تحولاً هاماً ظهر في تفضيل هؤلاء على سائر يهود البلدان الإسلامية. وكان للدعاية

(1) مجلة فلسطين، العدد 131، شباط 1972، ص 36.
الفرنسية والأوروبية التي حظيت بها بعض العائلات المهاجرة إلى فلسطين من أصل مغربي، أثراً في تزايد قوتيهم بين المهاجرين.

وعلى أبواب القرن العشرين، وفي الفترة المتتدة بين 1897-1911، وبعد تعيين اللجنة الصهيونية العالمية الدكتور فالنسين الجزائري، تمثلًا للحركة الصهيونية في دول المغرب العربي، بدأت معه حركة نشاط صهيونية، تمثلت في بعده مقررات مؤتمر «بال» في بلدان شمال أفريقيا، وأثمرت قيام عدة روابط يهودية، عملت على توزيع أسهم الاستيطان في فلسطين، ومنها: رابطة فلسطين مؤسسة «ماركو باروخ» عام 1897 في القاهرة، ومن أفكارها الدعوة إلى احتلال فلسطين بالقوة، وتثري الصهبوكة، حتى يصبح بمقدورهم تشكيل نواة الجيش اليهودي. وأستثارت الرابطة في عدولا لها في الإسكندرية. غير أنها توقفت عن العمل عام 1904 لأنها واجهت صعوبات مالية وتنظيمية. وحلّت مكانها في السنوات السابقة للحرب عدة روابط يهودية.

أبرز هذه العائلات: طوليدانو، بلهول، عبر... 
صمونيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية، 1850-1950»،
ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مجلة عالم المعرفة، العدد 197،

202
يهود بعض البلاد العربية

تونس: اتسمت حياة أبناء الطائفة اليهودية بسيطرة العادات والتقاليد على أوجه المجتمع كافة. وتمسك بعض الطوائف التي سكنت "جريبا" بالتقلييد اليهودية. وأسس اليهود في تونس "رابطة صهيوت" عام 1911(1).

لقد وصل عدد اليهود في تونس سنة 1997 إلى 2,000 يهودي. وتقسم الجماعة اليهودية بشكل رئيسي في تونس العاصمة، وهناك تجمعان صغيران لليهود في الحارة الكبرى والحارة الصغيرة داخل جزيرة جربا، حيث يعيش نحو 900 يهودي. كما يقطن نحو 200 يهودي في منطقة سوسة للمستير.

ويعد وجود الجماعة اليهودية في تونس إلى عام 200(2).

يهود المغرب: تأثرت الحياة اليهودية في مناطق عديدة من المغرب بالشخصيات اليهودية التي كان ينظر إليها بوصفها شخصيات تنتمي إلى عالم الأولياء والقديسين، وكان الإفراط في الولاء إلى هؤلاء القادة يُعد في منزلة إحدى الظواهر المميزة لحياة يهود المغرب، خصوصاً بالنسبة إلى الطبقات

(1) صموئيل أتينجر: "اليهود في البلدان الإسلامية"، (المراجع السابق)، ص 416.
(2) نبيل السهلي: "الطائفة اليهودية في البلاد العربية"، دمشق 2005، ص 75.
الشعبية في المجتمع اليهودي التي شكلت غالبية أبناء المجتمع اليهودي.
أما موقف السلاطين في المغرب تجاه اليهود فكان طبياً وجيداً. فقد عرف عن المولى عبد الرحمن (1833-1855)، تبنيه لموقف طيب من اليهود، إذ منح التجار اليهود تسهيلات عديدة أتاحت لهم فرصة التنقل بحرية في أرجاء المغرب، والسفر منها والعودة إليها(1). كما سعى ابنه المولى محمد (1859-1873)، إلى تحسين أوضاع اليهود القانونية.
وقد شكل يهود المغرب عشية الحرب العالمية الأولى 10% من التعداد الكلي للسكان في المدن الكبرى، الدار البيضاء، مراكش، فاس، مكناس، الرباط، كما كان ليهود وجود قوي في بعض المدن جنوب المغرب مثل مدينتي أربود وريساني.
أسس اليهود في المغرب عام 1900 رابطة أبواب صهيون ورابطة "العودة إلى صهيون". وفي مدينة فاس تأسست رابطة "محبة صهيون" وقد امتد نشاطها إلى مدينة "مكناس"(2).

(1) صموئيل أتينجر: "اليهود في البلدان الإسلامية"، (المرجع السابق)، ص 312.
(2) صموئيل أتينجر: "اليهود في البلدان الإسلامية"، (المرجع نفسه)، ص 408-416.
يهود ليبيا: استمر اليهود في العيش ضمن جو من الراحة النفسية مع مجيء الاحتلال الإيطالي سنة 1911، كما أنهم خطوا خطوات كبيرة في مجال التعليم، ووصل عدد اليهود في تلك الحقبة إلى 21 ألف شخص، عاش معظمهم في مدينة طرابلس. وأثناء الاحتلال الألماني لمدينة بنغازي سنة 1942 دمر الألمان المؤسسات التجارية اليهودية هناك، وطردوا أكثر من 200 يهودي نحو الصحراء(1).

وفي عام 1948، واجهت الجالية اليهودية في ليبيا هجمات عنيفة غادر على أثرها معظم يهود ليبيا واتجهوا إلى إسرائيل بعد إعلانها مباشرة. وحتى عام 1969، لم يبق إلا 500 يهودي في ليبيا(2).

لا بد من الإشارة إلى أن الدول العربية عاملت اليهود معاملة جيدة طوال وجودهم فيها، حيث كان اليهود عبر التاريخ جزءاً من النسيج الاجتماعي لهم كامل حقوقهم كمواطنيين العرب.

(1) نيل السهلي: «الطائفة اليهودية...»، (المرجع السابق)، ص 75.
(2) نيل السهلي: «الطائفة اليهودية...»، (المرجع نفسه)، ص 75.
الفصل السادس

المشروع اليهودي والدولة الصهيونية المعاصرة
الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مشروع الاستيطان

تزایدت مركزية فلسطين في وعي يهود الشرق منذ القرن التاسع عشر، وساهمت العوامل السياسية منذ ذلك الحين في توثيق علاقات يهود الشرق بيهود فلسطين. ومن بين عوامل تزايد قوة اليهود في فلسطين، أن السلطات العثمانية اعترفت عام 1840 بصلاحيات رئيس الطائفة اليهودية "أهريشون لتسيبون" ومنحته لقب "حاخام باشي". وتزايدت منذ ذلك الحين قوة الحاخامات في فلسطين كرجال دين ذوي صلاحيات واسعة. وخير دليل على ذلك، أن حاخامات اليمن كانوا يبعثون بمساعداتهم في الفقه اليهودي إلى حاخامات القدس.

ولقد مرت هجرة اليهود الشرقيين إلى فلسطين بعدة مراحل، وبالمكان تميزها بالآتي:

- هجرة فردية: 1812-1880: كانت المرحلة الأولى محدودة جداً، بدأت من كرديستان خلال عام 1812، ثم
المرحلة الثانية التي أتت من إيران في الأعوام 1815-1841، وبعدها كانت هجرة يهود العراق 1818-1856، ومن بخارى 1827-1871، ومن اليمن ابتداء من عام 1855.

- هجرة جماعية: 1880-1914 (1).

خلال هذه المرحلة وصل إلى فلسطين أعداد كبيرة من يهود الشرق (عشرة آلاف مهاجر). وقد شكلوا حوالي 10 بالمائة من التعداد الكلي لليهود في فلسطين. وخلال الحرب العالمية الأولى توافت هذه الهجرة بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية. وقد تمّت هجرة يهود اليمن بدءاً من العام 1882-1885 بـ 200 يهودي، وفي العام 1885، وصل منهم 450 فرداً. وهاجر إلى فلسطين عام 1907 حوالي 220 يهودياً من مدينة صعدة ومحيطها (2).

إن خصوصية قيام إسرائيل تجعل من غير الممكن الحديث عن تطور السكان دون الحديث عن الهجرة، أو الحديث عن الأرض دون الإشارة إلى الهيل إلى التوسع الإقليمي. والحديث عن سكان إسرائيل وأرضها لا يكتمل

(1) صموئيل أيننجر: «اليهود في البلاد الإسلامية، مشروع الاستئتمان» (1850-1950)، ص ص 139-140.
(2) مجلة الشراع، العدد 353، 26 كانون الأول/ديسمبر 1998، ص 48.
لا استيطان هو المشروع الصهيوني متجسدًا في الواقع، وهو العملية التي يتم عبرها زرع العنصر البريالي اليهودي في فلسطين. إن الاستيطان هو الهدف قبل أي شيء آخر، ولن يغفل العامل الاقتصادي أو السياسي أو العسكري. فتاريخ الاستيطان هو تاريخ "دولة إسرائيل", لأنه ظهر مع نشأة الحركة الصهيونية ومنظماتها العالمية. وقد تركز الوجود اليهودي في بداياته، في مدن صفد، طبريا، القدس. فيما احتلت مجموعات استيطانية زراعية أماكن محدودة على الساحل الفلسطيني. وقد ارتبط وجودها بجهود أصحاب الثروات الكبيرة من اليهود، في الخارج. وحتى عام 1898، بلغ مجموع المستوطنات اليهودية 22، قدرت مساحتها بحوالي 200 ألف دونم، وبلغ عدد سكانها 4900 نسمة. ولم يتعد إجمالي عدد اليهود في فلسطين آنذاك 25 ألف نسمة.

في العام 1901 ارتفع عدد المستوطنات إلى 47، أقيم 14 منها بدعم المنظمة الصهيونية العالمية (1). وشهدت مرحلة الاستيطان والهجرة غير الشرعية، هجرة حوالي 40 ألف يهودي من بلدان الشرق إلى فلسطين، نصفهم كان من اليمن.

(1) عبد الرحمن أبو عرفة: "الاستيطان: التطبيق العملي للصهيونية", المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981، ص 201.
تاريخ اليهود السياسي

وبعضهم الآخر أتى من إيران وكردستان وأفغانستان وبخارى والعراق.

وكان موضوع الهجرة إلى فلسطين، من أول أهداف الوكالة الصهيونية. وبحسب مدة الهجرة قبل الانتداب بالهجرة بعد ذلك، نرى كيف كان أثر الاستعمار البريطاني حاسمًا على هذا الصعيد. وتشير المصادر الإسرائيلية إلى تطور عدد المهاجرين خلال المرحلة الممتدة بين 1882 و1919:

<table>
<thead>
<tr>
<th>سنة (1916)</th>
<th>عدد المهاجرين</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1900</td>
<td>85 ألفاً</td>
</tr>
<tr>
<td>1914</td>
<td>56 ألفاً</td>
</tr>
<tr>
<td>1919</td>
<td>50 ألفاً</td>
</tr>
</tbody>
</table>

وفي مكان آخر، تذكر هذه المصادر أنه هاجر إلى فلسطين خلال الفترة نفسها، عدد راوح بين 50 و75 ألف نسمة وذلك على دفعتين:

- الدفعة الأولى: 1882-1903
  - الثانية: 1904-1914
  - 30 ألفاً - 20 ألفاً
  - 40 ألفاً - 35 ألفاً

وعلى هذا فإن من المفترض أن يكون قد وصل عدد اليهود المهاجرين عام 1914 إلى ما بين 79 و94 ألفًا. ومن مقارنة العدد الفعلي لليهود في فلسطين عام 1919، 56 ألفًا، بالعدد المفترض الذي هو حاصل جمع العدد الأصلي عام 1882، والهجرة التي حدثت، نلاحظ أن هناك نقصًا في عدد المهاجرين يراوح ما بين 23 ألفًا و38 ألفًا. هذا الفرق...
الحاصل تنتج عن أن العدد ممن هاجروا بين 1882 و1914 كانوا يغادرون فلسطين بهجرة مُعاكسة(1).

اتسعت أعمال اليهود ونمت مصالحهم في فلسطين، ووجدوا تحت أجنحة الوكالة اليهودية والمجلس العام للحماية والعطف، فتكُونَت طوائف يهودية مختلفة ومتماسكة، توافرت لها جميع الإمكانيات والشروط لقيام حكومة مستقلة عدا الشرط الأساسي وهو السيادة الإقليمية. لذا عملت الهيئات اليهودية منذ قدمها إلى فلسطين على شراء الأراضي من العرب، وإغراقهم بكل الطرق. كما حرموا استخدام العرب في الأراضي التي يشتريونها منهم، ومنعوا إعادة انتقال الأراضي بالبيع إلى العرب(2).

وفي الثلاثينات من القرن العشرين اجتاحت أوروبا عاصفة النازية في ألمانيا، والفاشيية في إيطاليا. خلالها اتخذت المجموعة الصهيونية الألمانية، منذ عام 1933 موقف المصالحة والان天上اق مع ألمانيا الهتلرية، بينما اتخذت بقية المنظمات اليهودية جانب الحلفاء. وعلى الرغم من أن


(2) محمد رفعت بك: «قضية فلسطين»، القاهرة، دار المعارف 1947، ص 62.
الحكومة الألمانية كانت تضطهد اليهود الألمان، فهي كانت تتجاوز مع القادة الصهاينة في ألمانيا، وتعاملهم بالحسنى، ما أدى إلى نزوح آلاف من اليهود بعيدا عن وطنهم الأصلي حاملين معهم ثرواتهم وكنائسهم، ودخلوا فلسطين عن طريق الهجرة غير الشرعية.

وبعد أن كان عدد المتسكعون إلى فلسطين يراوح ما بين 4000 في سنة 1931، و5000 في سنة 1933، فنز عددهم في عام 1934 إلى 6000 مهاجر. وفي عام 1935 بلغ عددهم أكثر من 60,000 يهودي.

في الفترة الممتدة بين الأعوام 1919 و1937 (2)، هاجر عدد من يهود أوروبا إلى فلسطين. وفيما يلي جدول بعدعم والنسب المئوية لكل بلد:

<table>
<thead>
<tr>
<th>الدولة</th>
<th>عدد المهاجرين</th>
<th>النسبة المئوية</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>بولندا</td>
<td>131,249</td>
<td>42%</td>
</tr>
<tr>
<td>ألمانيا</td>
<td>35,346</td>
<td>11%</td>
</tr>
<tr>
<td>روسيا</td>
<td>30,718</td>
<td>10%</td>
</tr>
<tr>
<td>رومانيا</td>
<td>15,528</td>
<td>5%</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(1) مجلة فلسطين، السنة الثانية عشر، شباط 1972، ص27.
(2) مجلة فلسطين، (المرجع نفسه).
فضلًا عن مهاجرين من لتوانيا واليمن والولايات المتحدة، وجهات متفرقة. ويلاحظ أن معظمهم قدموا من دول أوروبا الشرقية، أما يهود أوروبا الغربية (فرنسا، إنجلترا، بلجيكا ..) فقد اندمروا في الشعوب التي أقاموا بين ظهرانيها وتجنسوا بجنسياتها. وعمل هؤلاء على مد المنظمة الصهيونية العالمية بالمال والنفوذ السياسي والأيديولوجي لتحقيق مشروع "دولة إسرائيل" في فلسطين (1).

وفي بداية موجة الهجرة الثالثة، مع شرعنة سلطات الانتداب الدخول اليهودي إلى فلسطين، وتأسيس قسم الاستيكان في المنظمة الصهيونية، إنشاء الصندوق القومي اليهودي، توسعت النشاطات الاستيكانية، واكتسبت أبعاداً عقائدية مع نظام "الموشاف". وفي غضون هذا النشاط، تحرك الشعب الفلسطيني لمواجهة تساهل بريطانيا تجاه الهجرة. لذا تنادى الفلسطينيون لعقد المؤتمرات التي وصلت إلى سبع، خلال عهد الانتداب، وركزت على مسألة مع الهجرة في مقدمة المطالب الوطنية، وقد أدمجت في طلب الميثاق الوطني (2).

(1) مجلة فلسطين، السنة العاشرة، تموز 1970، ص 36.
(2) محمد رفعت بك: "قضية فلسطين"، القاهرة، دار المعارف 1947، ص 62.
ويذكر السيد محمد أمين الحسيني مفتى فلسطين، أنه في 29 آذار/مارس 1930، التقى وفد فلسطين في لندن، برئاسة موسى كاظم الحسيني رئيس الوزارة البريطانية «رامزي ماكدونالد»، وزيرا المستعمرات (بافيلد). وخلال الجلسات دارت مناقشات، حاولت بريطانيا فيها إقناع الوفد الفلسطيني بالموافقة على سياستها في فلسطين، مقابل تلبية مطالب الشعب الفلسطيني بتأليف حكومة وطنية فلسطينية. هذا الطلب، رفض بشدة من جانب الوفد¹. وأمام المراوغة البريطانية، سافر الوفد إلى جنيف، فالتقى الأمين العام لعصبة الأمم «أريك دراموند»، وشارك في الوفد الأمير شكيب أرسلان، وإحسان الجابري، عضوا الوفد السوري - الفلسطيني المقيم في جنيف. ويقول الحسيني: «عند مقابلتنا له، رفضنا صك الانتداب لأنه خطا فادح بحق الشعب الفلسطيني، إلا أن الأمين العام أجاب بالقول: إن بريطانيا هي من وضع الصك وفرضه». ويشير الحسيني إلى أنه وبعد عودة الوفد إلى فلسطين، أرسلت بريطانيا لجنة «سمبسون» لدرس أوضاع فلسطين وقدرتها على استيعاب المهاجرين. وقد قدمت تقريراً ذكرت

¹ أسماء الغزالي حرب: مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1978، ص 74.
فيه: أن فلسطين مكتظة بسكانها.. وأن ما تستوعبه منهم (اليهود) الآن هو أكثر من طاقتها (كان عددهم حينها 170 ألفا) كما أن أرضها لا تكاد تكفي سكانها.

وعاملاً بقرر تقرير «لجنة سمبسون» ولجانا شؤمو، أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً «أبيض» قررت بموجبه منع الهجرة وبيع الأراضي (1). رغم ذلك، سار المندوبون الساميون البريطانيون في سياسة حكومتهم الخادعة، لتغطية خطط تهويد فلسطين وتخير الجدب. و بالتوازي مع المنظمة الصهيونية، شجعت بريطانيا الهجرة الرسمية اليهودية، وغير الرسمية، وتملك الأراضي، وتجندي اليهود. وفي عهد المندوب السامي (آرثر واكوتروب) 1931-1936 بلغ عدد المتسليلين اليهود 88,530 ألفا، وعدد المهاجرين الرسميين 164,267 ألفا. ولم يتورع (واكوتروب) عن الاعتراف بالحقيقة الخطرة، حين قال: «يحزنني جداً أن أرى عدداً كبيراً من اليهود يدخلون تهريباً بصورة غير شرعية، وعددهم لا يقل في الواقع عن عدد اليهود غير المهربيين».

(1) لمجلة فلسطين، إحصائية لعدد اليهود في فلسطين تقول: إنه لم يكن في فلسطين منهم في القرن التاسع عشر سوى 10 آلاف نسمة. وفي عام 1919 بلغ عددهم 50 ألفا مقابل 700 ألف مسلم ومسيحي. 

مجلة فلسطين، العدد 131، السنة الثانية عشرة، شباط/فبراير

1972، ص 27.
وقد أكدت اللجنة الملكية البريطانية في تقريرها، تغاضي بريطانيا عن الهجرة غير المشروعة، التي كانت السمة البارزة في عامي 1933-1934. و جاء فيه: "كان اليهود المتمردون يقطعون الحدود من سوريا وشرق الأردن ومصر أحياناً ليصلوا إلى المياه الفلسطينية في سفن مستأجرة لهذا الغرض، وينزلون الساحل تحت ستار الظلم، للاستعجال على الدخول يهود مقيمين في فلسطين".  

(1)

في المقابل، وقفت بريطانيا بكل أساليبها وتشريعاتها في وجه أية هجرة عربية أو غير عربية، حيث لم يدخل فلسطين خلال الفترة 1920-1937 سوى 20,073 مهاجراً من غير اليهود. وأشار "الكتاب الأبيض" الإنجليزي إلى أن عدد المهاجرين بالطرق الرسمية ارتفع عام 1946 إلى 405,441 مهاجراً يهودياً، إضافة إلى 25 ألف يهودي دخلوا مع الجيش البريطاني أثناء الاحتلال، وتطور ارتفاعاً فوصل عام 1947 إلى 629 ألف مهاجر.  

(2)

وتشير المصادر الإسرائيلية إلى أن موجات الهجرة الكبيرة التي تدفقت على فلسطين خمس، بدأت من الفترة الممتدة

محمد رفعت: "تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية"، دار المعارف، القاهرة 1959، ص 25.

شفيق الرشيدات: "فلسطين، تاريخاً وعبره ومصيرًا"، دار الكاتب العربي، مصر 1968، ص 86.
بين 1932-1948، حيث وصلت نسبتها إلى 40.8 بالمائة من إجمالي الهجرة بين 1919-1948.

من ناحية ثانية، شكلت أوروبا المصدر الرئيسي لتدفق المهاجرين، إذ بلغ معدلهم في تلك الفترة، حوالي 78 بالمائة. وتميزت سنوات 1932-1938 بأخصب رفد يهودي مهاجر من أوروبا إلى فلسطين. وجاء ذلك نتيجة للاتفاقيات التي وقعتها ألمانيا مع الحركة الصهيونية لتهجير اليهود الألمان. وقد بلغ العدد الإجمالي للمهاجرين من أوروبا 173,173 ومن أمريكا وأوقيانيا 458,458، ومن آسيا 16,272، ومن أفريقيا 121,121.


ولم يكن للمهاجرين اليهود الذين وفدو إلى فلسطين أي

حسين أبو النمل: «الاقتصاد الإسرائيلي...»، (المراجع السابق)، ص 32-33.
رابط سوّي الديانة اليهودية. فهم غرباء بالنسب والجذور والقومية واللغة والثقافة والحضارة عن المنطقة العربية وعن فلسطين. إنما دفعهم التعبس والعدوانية والأحلام المهووسية والأساطير التي زرعتها الصهيونية، والمصلحة الاستعمارية الغربية. وهؤلاء النازيون الجدد يحملون جنسيات مختلفة، ويظهر الجدول تعدادهم وبلدانهم الأصلية التي جاؤوا منها منذ الأعوام 1919-1943.

<table>
<thead>
<tr>
<th>الجنسية</th>
<th>العدد</th>
<th>الجنسية</th>
<th>العدد</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>بولندا</td>
<td>142,322</td>
<td>الولايات المتحدة</td>
<td>8,084</td>
</tr>
<tr>
<td>تشيكوسلوفاكيا</td>
<td>10,904</td>
<td>الاتحاد السوفيتي</td>
<td>31,223</td>
</tr>
<tr>
<td>النمسا</td>
<td>9,908</td>
<td>جمهوريات البلطيق</td>
<td>14,8</td>
</tr>
<tr>
<td>مجر</td>
<td>4115</td>
<td>تركيا</td>
<td>7,081</td>
</tr>
<tr>
<td>اليمن</td>
<td>14,020</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

المجموع العام: 292,209.

وذكرت المصادر الإسرائيلية، أن العدد الإجمالي للمهاجرين في تلك الفترة وصل إلى 381,874 ألفاً. وإذا أنسقنا المجموع العام الوارد، من العدد الإجمالي يتبين أن
الفارق العددي هو 89,665 ألفاً، قد دخل فلسطين على قسمين:

القسم الأول: بلغ 47,815 جاء معظمهم من البلاد الأفريقية والآسيوية والأوروبية.

القسم الثاني: بلغ 45,850 ألفاً، جاؤوا من أوروبا والولايات المتحدة في فترة الحرب العالمية الثانية.

ويقول "ألفرد ليلنتال" في كتابه "ثمن إسرائيل": إن عدد اليهود بلغ في نهاية الحرب العالمية الثانية نصف مليون نسمة. ويلاحظ أن نسبة اليهود قد ارتفعت من 11 بالمائة عام 1922، إلى 32 بالمائة عام 1945. وقد زودت سلطات الانتداب البريطاني المستوطنين اليهود بالأسلحة الحديثة والدبابات، ليتسنى لهم الدفاع عن أنفسهم وكيانهم المزعوم إنشاؤه، ومنعهم عن عرب فلسطين حتى الدفاع عن أنفسهم وعن كيانهم. (1).

لقد كان للمنظمة الصهيونية دور بارز في تعقيد معيشة اليهود في مواطنهم الأصلية، وبالتالي حملهم على الاعتقاد بأنهم مطاردون من شعوب وأنظمة، ليتركوا البلاد التي وُلدوا فيها. وعن هذا الدور، يقول الشاعر الفلسطيني سميح ألفرد ليلنتال: "ثمن إسرائيل"، ترجمة حبيب نحولي ويسار هواري، مسلسلة كتاب الملاليين، بيروت 1953، ص 27.
تاريخ اليهود السياسي

القاسم: عبر التاريخ، كانت الحركات الصهيونية تلقي القنابل على منازل اليهود لحثهم على الرحيل. وكان قائد هذه المجموعات في البلاد العربية "شلومو هليل" الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للشرطة الإسرائيلية في الكيان الصهيوني(1). وعن أولويات إنقاذ يهود أوروبا من اضطهاد النازية، يقول "أيفون جلبر" في كتابه "سياسة الصهيونية وقدر اليهودية" ص 119، الملجد الثالث: "لم يكن إنقاذ يهود أوروبا في رأس أولويات الطبقة القادرة الصهيونية، بل إن تأسيس دولة إسرائيل هو الذي كان يتمتع بالأولوية في عيونهم...

وفي مكان آخر، يؤكد هذا القول "بن غوريون" عام 1938، أمام قادة حزب العمل الصهيوني، "أنه لو كان يخير بين إنقاذ كل أطفال ألمانيا بأخذهم في إنكلترا، أو إنقاذ نصف الأطفال بحملهم إلى أرض إسرائيل، فإنه سيختار الحل الثاني. ذلك أنه علينا أن لا نحسب حياة هؤلاء الأطفال، بل علينا أن نركز الاهتمام على تاريخ شعب إسرائيل"...

ويلاحظ أنه بعد إعلان فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا، بث "هوازنمان" رئيس الوكالة اليهودية إلى الوزير الأول البريطاني "شامبرلاين"، رسالة يعلمه فيها بوقف اليهود إلى جانب الحلفاء في حربهم "من أجل الديمقراطية"، فضلاً

(1) "جريدة السفير"، تاريخ 17 آذار 2001.
عن وضع كل إمكانات اليهود في العالم لخدمة بريطانيا في الحرب، وبالتالي أصبح يهود ألمانيا وإيطاليا ضمنًا بحالة عداء مع دولتيهما. هذا الواقع أوقع اليهود في كلا البلدين في أتون المحرقة (هذا إذا كان هناك محرقة) مما حتم، بعد أن نشرت رسالة "وايزمان" في مجلة Jewish Chronical في 8 أيلول/سبتمبر 1939 أن سبق العديد منهم إلى معسكرات الاعتقال، بتهمة معاذة الدولة الألمانية الهتلرية. هذا الأمر سبق أن فعلته حكومة الولايات المتحدة، حين أعلنت الحرب على الامبراطورية اليابانية، فساقت مواطنيها ذوي الأصول اليابانية إلى السجون(1).

كيف يمكن إنقاذ اليهود، وهم الآمنون في بلادهم الأصلية، وفي الوقت نفسه تزجه المنظمة الصهيونية وتضعهم في دائرة الاتهام، وفيما بعد يضعون اللوم باضطهاد اليهود على دول أوروبا خصوصاً ألمانيا. ويقول الكاتب "توم سيفغ" في كتابه "البلدان السبع" ص 119: "أن نحاول إنقاذ أولئك (اليهود الألمان) الذين يمكن أن يكونوا نافعين لدولة إسرائيل أو لليهودية... يبدو الأمر مفعماً، ولكن كان علينا أن نقرر بوضوح أنه إذا كنا نستطيع إنقاذ 10 آلاف

(2) محمد رفعت: "تاريخ حوض البحر المتوسط..."، (المراجع السابق)، ص 25.
شخص من بين خمسين ألفاً، الذين يمكنهم أن يساعدوا في بناء إسرائيل والبعث القومي، وأهملنا المليون يهودي الذين سيصبحون عبئاً علينا، أو عدداً لا قيمة له، فأننا أفضل الاقتصار على العشرة آلاف، الذين يمكن إنقاذهم بالرغم من نداءات واتهامات المليون من المهملين؟

وهناك مصادر صهيونية تؤكد أن العلاقة مع النازية، كانت أكثر من جيدة، فيما كان النظام الهتلري، في الوقت نفسه، يحبذ التخلص من اليهود الألمان. وقد انتهت مساحة الطرفين، بعد أن أظهر النازيون رغبتهم في مساعدة المنظمة الصهيونية على إقامة دولتهم وتجمع اليهود فيها. ولا يستبعد حصول تواطؤ بين قادة المنظمة وبعض الضباط النازيين لافتعال حالة رعب وهلع، وقتل ومجازر بين اليهود الألمان والأوربيين، ليتم اقتلاعهم من جذورهم فتصبحوا صيداً سهلاً للوكالة اليهودية ليتم نقلهم إلى فلسطين (1).

إعلان دولة إسرائيل عام 1948
(يوم النكبة)

منذ نشأة الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، كان جلياً البعد الديمغرافي في تطلعاتها حيث أشاعت فكرة "أرض بدون شعب لشعب بدون أرض". وقد انتقلت في تكتيكاتها لتجميد الحلم الصهيوني من ترسيخ مواطئ القدم إلى التمدد ثم السيطرة، ومن ذلك تأكيِد السيادة(1).

وليس صدفة أنه في الوقت الذي انشغل فيه العالم بعد الحرب العالمية الثانية بالمسألة اليهودية وتقسيم فلسطين، كانت الحركة الصهيونية تخطط لإعلان "دولة إسرائيل اليهودية". وفي الرابع عشر من أيار 1948، وقبل ساعات قليلاً من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين أعلن دافيد بن غوريون، رئيس اللجنة التنفيذية للكمالة اليهودية.

(1) "جريدة السفير"، تاريخ 4 تشرين الأول 2010.
ولدَة دولة إسرائيل«(1)». ومنذ لحظة إعلان الكيان الصهيوني في تل أبيب عشية 15 أيار 1948 أمام أعضاء المجلس الوطني اليهودي، كان المسؤولون الصهيونيون يخططون لعملية تطهير عرقي في حرب 1948(2). فمشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة الذي كان ظالماً في جوهره بتقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة يشكل العرب فيها 99 في المئة والثانية بنسبة تصل إلى أقل من النصف، حاول الاستناد إلى البعد الديمغرافي(3). وعمدت قوات الهاغانا وبقية المنظمات الحربية اليهودية ليس إلى توسيع حدود الدولة اليهودية واحتلال أكثر من نصف ما خصص للدولة العربية فحسب، بل طرد أهلها العرب منها. وهكذا لم يبق في الحدود الموحدة لدولة إسرائيل بعد اتفاقية الهدنة عام 1949 إلا حوالي مئة وعشرين ألفاً، وتم طرد حوالي مليون فلسطيني من بيوتهم.

انطلاقاً من ذلك، تمكنت الصهيونية من إقامة دولتها

جورج ناصيف: «الوحدة العربية وإسرائيل»، معهد الإسماع العربي، بيروت 1985، ص 93.
الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان: «الممارسات الإسرائيلية، المخالفات والتعويضات»، بيروت، حزيران 1996، ص 32.

(1) (2) (3)
المصطنعة على أرض فلسطين على حساب تشريد الشعب العربي الفلسطيني. ومنذ ذلك التاريخ لم تنتهك سلسلة الحروب والاعتداءات التي شنها هذا الكيان على أراضي الدول العربية المجاورة بغية تحقيق أطماعه التوسعية، ولم يتجأ عام 1967، إلا وكانت ‏إسرائيل ‏قد وسعت رقعتها من شاطئ قناة السويس غرباً حتى شاطئ نهر الأردن شرقاً، ومن مرتفعات الجولان شمالاً حتى شرم الشيخ جنوباً(1).

ومن الطبيعي أنه وقف خلف هذا التصرف إدراك ديمغرافي بعيد المدى، حيث مارست ‏إسرائيل ‏بعد حرب 1967 عملية طرد جماعي منظم بإفراغ مخيمات أريحا في غور الأردن من سكانها، وتشجيع الكثير من سكان القرى المجاورة على النزوح إلى شرقي النهر.

كما نظمت أوسع عملية ترحيل سريّة للاجئين من قطاع غزة إلى الضفتيتين الشرقية والغربية، عندها فقد الشعب الفلسطيني أرضه بعد نضالاته عديدة، وطويلة ضد قيام هذه الدولة خسر أرض فلسطين، حتى الذين بقوا منهم على أرضها خسروا الوطن الأصيل الذي كان في ظل الاحتلال الإسرائيلي أشبه بالسجن الكبير(2).

عبد القادر ياسين: «القضية الفلسطينية»، (المراجع السابق)، ص 122.
(1) جريدة السفير، تاريخ 4 تشرين الأول 2010.
رغم ذلك لا يوجد في الرواية الإسرائيلية الرسمية لأحداث النكبة عام 1948، أي إشارة إلى دوافع الخطة الصهيونية في تنفيذ تطهير عرقي في فلسطين، إنما هناك مئات من الإشارات إلى أن العمليات العسكرية التي كانت تنفذها الهاغاناه واللايتسيل وغيرهما كانت لمعاقبة الفلسطينيين لأنهم "اعتدوا" على حي يهودي ما في مدينة معيّنة، أو أنهم اعترضوا طريق قافلة يهودية، أو قتلوا يهوداً، وغيرها من الأسباب. ولم تنشر الصحف نهائياً إلى أسباب قيام الفلسطينيين بهذه العمليات ردًا على العنف والأعمال الإجرامية التي تلقاها المنظمات اليهودية نفسها.

والجدير ذكره في هذا المجال، أن الانتداب البريطاني لم يغادر فلسطين إلا في منتصف شهر أيار من عام 1948، إلا أن المنظمات الصهيونية باشرت بتنفيذ عمليات قتل وإرهاب وتدمير وترحيل تحت مرآي عيون هذا الانتداب. ومن الواضح أن تنسيقاً عسكرياً وميدانياً كان قائماً بين الطرفين البريطاني والصهيوني (1).

قال بن غوريون: "لا فائدة من وجود إسرائيل دون هجرة يهودية إليها، ولا فائدة من مكاسب الحرب في احتلال جريدة السفير، (ملحق فلسطين)، العدد 2، تاريخ 15 حزيران 2010.
الأراضي دون الهجرة والاستيطان». لقد كان هذا ولا يزال مبدأ صهيونياً راسخاً.

لقد آمن بن غورون إيمانًا قاطعاً، وطبق الإيمان على سياسته كلها التي نفذها. إن تدمير المجتمع الفلسطيني هو شرط لقيام دولة إسرائيل على أشياء أهل البلاد، ولولا أنه طبق «التنظيم» العرفي ضد الفلسطينيين الذين طردوا من 530 مدينة وقرية عام 1948، لما تمكن من استقدام المهاجرين الجديد، الذين جاؤوا من البلدان العربية، وسكنوا في البيوت الفلسطينية الفارغة، وعلى الأرض المسلوبة. إذ لم يكن في الإمكان استيعاب كل المهاجرين دون طرد العرب على الأقل في السنوات العشر الأولى من قيام الدولة.

والواقع أن المجتمع الإسرائيلي يقفز عن كل المعطيات ويحاول أن يتعاطى مع الأقلية العربية البقية على أرضها بوصفها عنصراً شاذًا وغربيًا، وكثيراً ما أوحى للعرب بأن بقاءهم على أرضهم ليس حقاً، بل من الدولة اليهودية التي سمحت لهم بالبقاء. وعلى الدوام لعب قانون العودة الذي سنته الكنيست الإسرائيلي عام 1950، دوراً مركزاً في تهيئة الأرضية الفكرية والقانونية للتفريق على الفلسطينيين الباقيين

(1) إسرائيل 2020، خطة إسرائيل لمستقبل الدولة والمجتمع، المجلد الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2004، ص 62.
على أرضهم في الدولة العبرية وإيقائهم كمواطنين درجة ثانية.
ويشكل قانون العودة الآلية التفقيضة لحق العودة الفلسطيني الذي كلفته القوانين والقرارات الدولية\(^1\).

قانون العودة الإسرائيلي الذي ستة الكنيست ينظم الهجرة اليهودية الفردية والجماعية رسمياً بعد أن كان الأمر حكراً على الحركات الصهيونية. والقانون ينطلق من فكرة أساسية وهي أن إسرائيل "دولة الشعب اليهودي", في كل أرجاء العالم، وبالتالي فإن بوسع كل يهودي نيل الجنسية الإسرائيلية فوق وصوله إلى إسرائيل، إذا كان قد رتب الوصول وفق قانون العودة. وأعطى القانون لوزير الداخلية صلاحية الحرمان من هذا الحق لمن يمكن أن يضر بأمن إسرائيل وسلامة سكانها\(^2\).

وقد تضمن قانون العودة الإسرائيلي الصادر بتاريخ 20 تموز 1950 البنود التالية:

1 - يحق لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل.
2 - أ - تكون الهجرة بموجب تأشيرة مهاجر.
ب - تمنح تأشيرة مهاجر لكل يهودي يرغب عن رغبته.

"جريدة السفير" (ملحق فلسطين)، العدد 2، تاريخ 15 حزيران 2010.
في الاستقرار في إسرائيل، إلا إذا ثبت لوزير الهجرة أن الطالب يعمل ضد الشعب اليهودي، أو من شأنه أن يعرض صحة الجمهور أو أمته للخطر.

3 - إن اليهودي الذي قام إلى إسرائيل، وبعد قدمه أعرب عن رغبته في الاستقرار فيها، يحق له، ما دام هو في إسرائيل أن يحصل على شهادة مهاجر.

4 - كل يهودي هاجر إلى إسرائيل قبل بدء العمل بهذا القانون، وكل يهودي وُلد في إسرائيل، سواء قبل بدء العمل بهذا القانون أم بعده، فإن حكمه كحكم من هاجر وفقًا لهذا القانون.

5 - توقيع بن غوريون رئيس الحكومة، وموشي شيبرا وزيرة الهجرة (1).

ويمكن القول إن قانون العودة الإسرائيلي هو أبرز تجسيد لمعادلة التكريس/التبديد التي تحكم العلاقة العربية الإسرائيلية. فكل تكريس لدعم اليهودي في أرض فلسطين أو عليها هو بتأكيد التبديد للحق الفلسطيني والعكس صحيح. وهذا يفسر ذلك الرفض الإسرائيلي المطلق والجامع لحق العودة الفلسطيني.

(1) "جريدة السفير" (ملحق فلسطين)، تاريخ 15 حزيران 2010.
والتجربة التي عاشها الفلسطينيون في مناطق 1948 أكبر
دليل على ذلك، فهم رغم امتلاك الجنسية الإسرائيلية، يعانون
من اعتبارهم رسمياً قنبلة "ديمغرافية".
ولهذا تجري عليهم بشكل منظم عملية اضطهاد تجد
تعابير لها في العديد من الأوجه، أبرزها الإهمال والتهميش
من ناحية، والاستهداف من ناحية أخرى، ورغم أن
الفلسطينين الباقين على أرضهم يمثلون حوالي 20 في المئة
من سكان "الدولة العبرية"، إلا أنهم لا يحتلون سوى 2 في
المائة من الوظائف الرسمية(1).

أما ما يتعلق بتطبيق قانون العودة الإسرائيلي الصادر عام
1950، نشرت صحيفة "خويفيتود ريبيلدي" الكويتية بتاريخ 18
تشرين الأول 2010، تفاصيل رحلات جوية سرية قام بها
طيارون كوبيون في مطلع الخمسينات لنقل عشرات الآلاف
من اليهود إلى الأرض الفلسطينية المحتلة خلال فترة لم
تتجاوز العامين.

وتحت عنوان: "طيارون كوبيون في الأرض المقدسة"
كشفت الصحيفة الناطقة باسم الشبيبة الشيوعية الكويتية عن
حقيقة ظلّت طي الكتمان طوال 60 عاماً. رواها المؤرخ

(1) "الجريدة السفيرة" (ملحق فلسطين)، تاريخ 15 حزيران 2010.
المتخصص في شؤون الطيران والأولاندو ماروون دوكي، الذي تحدث عن استخدام الصهيونية خمسة طائرتين كوبين لنقل 150 ألف يهودي من العراق وإيران والهند واليمن في رحلات جوية مكثفة إلى الأراضي الفلسطينة المحتلة، وذلك خلال الفترة الممتدة بين العامين 1951 و1952 أي الفترة التي سبقت انتصار ثورة فیدل كاسترو (1).

ويشير ماروون إلى أنه بعد قيام دولة إسرائيل في العام 1948، تسارعت وتيرة الهجرة اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية، حيث تدفق مئات الآلاف من اليهود الأوروبيين إلى الدولة العبرية، بالنظر إلى التسهيلات التي كانت تقدمها الدول الأوروبية للمنظمات اليهودية في ما يتعلق بالهجرة إلى إسرائيل.

أما بالنسبة إلى يهود الدول العربية والإسلامية فكان الوضع مختلفاً، فالحكومات العربية كانت تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين عبر الطرق البرية، فضلاً عن السيطرة المصرية على قناة السويس التي جعلت الطريق البحرية خياراً مستحيلاً. وعلى هذا الأساس، بدأت إسرائيل تفكر في وسائل أخرى للقيام بعمليات إجلاء جوية ضخمة، وبما أنه

(1) "جريدة السفير"، تاريخ 19 تشرين الأول 2010.
كان من المستحيل أن تحترق أي طائرة تحمل العلم الإسرائيلي في المطارات العربية، فقد كان الحل تنفيذ هذه الخطة من خلال شركات طيران تابعة لدولة محايدة، وبذلك وقع الاختيار على كوبا، التي كانت قبل انتصار ثورة فidel كاسترو الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الأميركية في أميركا اللاتينية(1). بالإضافة إلى ذلك عملت قيادة إسرائيل على نقل اليهود الذين كانوا في البلاد العربية، وقد كان عددهم عام 1946، 700 ألف، بناء على إحصائيات الوكالة اليهودية التي قدمت إلى اللجنة الأنكلو – أميركية، أي 5 بالمئة من مجموع يهود العالم الذين كان يبلغ عددهم في العالم 16 مليوناً(2).

لقد استولى الصهيونية على فلسطين في سنة 1948، بالقوة العسكرية وبالدعم المباشر من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، ومع ذلك فإن أراضي الفلسطينيين التي أرغم مالكوها على مغادرتها قسرًا وضعت في تصرف مؤسسة دعي مديرها «القيم على أملاك الغابرين»، الذي راح يؤجرها لآجال طويلة أو قصيرة لأفراد أو لمؤسسات صهيونية.

وكان هذا الإجراء يعني أن إسرائيل تتهيأ للتصرف

(1) "جريدة السفير"، تاريخ 19 تشرين الأول 2010.

(2) "جريدة السفير"، تاريخ 24 تموز 2010.
النهائي بهذه الأراضي، وتؤجل تحديد ملكيتها إلى أمد غير محدد. لكن فيما بعد أقامت الحكومة الإسرائيلية على نقل مرجعية التصرف بهذه الأراضي إلى الوكالة اليهودية التي راحت تبيع هذه الممتلكات إلى الأفراد والجماعات والمؤسسات، الأمر الذي يعني إقفال المجال أمام عودة اللاجئين الفلسطينيين، وحتى لو عاد بعض هؤلاء إلى ديارهم الأصلية، فلن يجدوا أمامهم ممتلكات بل مجموعة من دعاوى التنازع على الملكية.

إن الغاية من هذه الإجراءات كلها هي الانتقال إلى مطالبة العرب والفلسطينيين بالتحديد، بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وهذا أمر خطير جداً، لأن فكرة «الدولة اليهودية» تطاول في نتائجها الفلسطينيين في داخل إسرائيل، وتمنع على الفلسطينيين في الخارج حقهم في العودة، وتفرض على عرب 1948 عنة قسم الولاء للدولة باعتباره مواطناً فحسب، بل الولاء للرموز الدينية كالعلم والنشيد الوطني وشعار الدولة، وهي رموز تتناقض في مدلولها اليهودي مع عقيدة المسلم والمسيحي معاً. وفق ذلك فإن الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل يؤدي إلى إنكار حق العودة للفلسطينيين;

(3) "جريدة السفير": (ملحق فلسطين)، تاريخ 15 تموز 2010.
ويجعل قيام دولة إسرائيل أمرًا مشروعاً وإخلاقياً، وهذا يعني أن المقاومة الفلسطينية والعربية للمشروع الصهيوني كانت اعتداءً على إسرائيل وعدوانًا على سكانها(1).

أقامت الحركة الصهيونية مشروعها على فكرة جدل المنفى والعودة، لكنها بتحويلها آلام اليهود في أوروبا إلى مشروع سياسي موظف في خدمة الاستعمار، جعلت اليهود أنفسهم أداة للاستعمار الحديث. ثم أمعنت في محاولة إلغاء الشعب الفلسطيني ووجوده وتراثه وحضارته، لأنها تدرك أن الوجود الحي لهذا الشعب هو البرهان الدائم على عدم مشروعية إسرائيل والصهيونية معاً. فالصهيونية حولت فكرة الخلاص اليهودي من الكراهية الأوروبية والإذلال الديني إلى اقتلاع للشعب الفلسطيني، وهذا الحدث جريمة سياسية وتاريخية وثقافية وإنسانية لا يمكن محوها إلا بتصحيح التاريخ وعودة الفلسطيني إلى دياره الأصلية. ومن المؤكد أن محاولات تغييب الكائن الفلسطيني عن جغرافيا بلاده ستفشل لأن الذاكرة الفلسطينية المكتوبة والمنقوشة والمروية والمحفوظة، من شأنها أن تدمر هذه المحاولات كلها. وما يجري اليوم في إسرائيل من سعي إلى تغيير المعالم الفلسطينية لغوياً.

(1) جريدة السفير، تاريخ 15 تموز 2010.
ويصرى، سيكون مصيره الاصطدام بصخرة هذا الشعب الذي لم تنسه السنوات الماضية من المنفى أرضه وتاريخه.
(1)

(1) جريدة السفير، (المرجع نفسه).

237
القدس: تاريخ ووقائع

كان الاسم الأول لمدينة القدس في التاريخ "ييروسليم"، استناداً إلى العربي "ييروس بن كنعان" مؤسس المدينة. ولقد ورد في التوراة ذكر تسمية ييروس بمعنى "ييروسليم" أربع مرات. مرتين في كتاب القضاة ومرتين في كتاب أخبار الأيام الأولى: وكان اليهوديون الكنعانيون العرب قد نزحوا من شبه جزيرة العرب في الألف الثالثة قبل الميلاد، قبل 500 سنة، فبنوا مدينتهم وسكنوها، فهم سكانها الأصليون بدون أي شك. وأطلق على المدينة في ذلك الحين اسم "كنعاني ييروسالم"، تعني لفظة ييروس المكان. وشام أحد آلهة الكنعانيين وتعني السلام، أي إنها مكان السلام أو "دار السلام". وكان الملكي صادق العربي في القرن التاسع عشر قبل الميلاد الملك الكنعاني للمدينة التي كانت تسمى "أيروسليم" فيما عرف بملك شالم، ملك السلام (1).

تبيين لنا مما تقدم أن مدينة القدس كانت قبل 5 ألاف عام مدينة عربية كنعانية، بقيت في يد أهلها أكثر من ألفي.

مجلة معلومات، العدد 41، تاريخ نيسان 2007، المركز العربي للمعلومات، ص 15.
عام قبل عهد موسى، كما بقيت في يد أهلها 300 عام
بوجود أتباع موسى في فلسطين، وحتى بعد دخول دارود
إليها.
أما سكانها فظلوا فيها، وعاش اليهود فترة وجودهم أقلية
بينهم، حتى تم سبيهم إلى بابل، وقد استمر وجودهم أقلية
في المدينة حتى تم القضاء عليهم نهائياً في عهد الرومان (1).
يتبين أن تسمية أورشليم، التي يحاول الصهيونيون اليوم
عدها من الأسماء "العبرية" بمعنى اليهودية، هي في الحقيقة
كلمة كنعانية أصلية وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية
التي وجدت في مصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون، ثم بعد
أن ظهر اليهود تكونت اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية،
وفي وقت لاحق صار اليهود يسمونها بلغتهم العبرية
"يروشلايم". لذلك فدعوى اسم أورشليم عبري الأصل بمعنى
يهودي دعوى باطلة لا تستند إلى مصدر تاريخي بدلاً ورود
الكلمة في الكتبات الكنعانية، قبل أن تكون اللهجة العبرية
والموادات العبرية بنحو 800 عام. وتعترف التوراة اعترافاً
صريحاً بأن ليس لليهود أي صلة بتاريخ أورشليم القديم لا
من حيث التسمية ولا من حيث القومية (2).

(1) أحمد سوسة: "العرب واليهود... "، (المرجع السابق)، ص 391.
(2) فمجلة معلومات»، (المرجع نفسه).
وقد بنى اليهود مقابل مدينة القدس، قلعة حصن صهيون على البرية الجنوبية الشرقية سموها "حصن صهيون". كما كان يعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن "بالأكمة" أو "أوغل" وأحياناً يسمى "جبل صهيون". ويبلغ ارتفاع جبل صهيون 2550 قدمًا فوق سطح البحر. وباقي حصن صهيون بيد اليهود بعد مجيء الموسويين بحوالي ثلاثة قرون لعدم استطاعتهم اقتحامه، وذلك حتى تولى الملك داوود الحكم في إسرائيل، فجمع جماهيره وذهب معهم إلى أورشليم أي فيوس، وقال داوود: إن الذي يضرب اليهودين أولًا يكون رأساً وقائداً، فتقدم "يواب"، واقتحم الحصن فصار رأساً وأقام داوود في الحصن لذلك دعي "مدينة داوود". وقد اختار داوود القسم الشمالي من الهضبة الشرقية، أي القسم الذي يقع شمال حصن صهيون، لنبني الهيكل فيه، و يعرف هذا القسم بجبل "المريا"، وارتفاعه 2440 قدمًا. وكان جبل المريا ملكاً "للأرثان" أو أرونة "اليهودي"، فاشتراه داوود من صاحبه بخمسين "شاقلاً" من الفضة وبني فيه مذبحًا للرب، وفي الموقع نفسه بنى سليمان الهيكل بعد ذلك (1).

وفي الموقع نفسه بنى سليمان الهيكل بعد ذلك (1).

وتنشر الأبنية والأراضي الوقفية في مدينة القدس، في البلدة القديمة وخارجاها في جزءي المدينة الشرقي والغربي.

أحمد سوسة: "العرب واليهود..."، (المرجع السابق)، ص 399.

(1)
أو أهم هذه الأبنية الواقفية، المعالم الدينية الإسلامية والمسيحية التي تحقَّى بالمئات، ومنها المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، والمساجد وكنيسة القيامة و55 مدرسة إسلامية والكنائس والأدِّيراء وأسواق التجارة والأراضي الزراعية والحمامات وغيرها من المؤسسات الأخرى.

أما الحي اليهودي في البلدة القديمة فقد سُمي بهذا الاسم نسبة إلى السكان وليس نسبة إلى الماليين، لأنه في الأصل أرض يملكها فلسطينيون في معظمهم، ولم يكن اليهود يملكون منها أكثر من 15% في أقصى الحالات (1).

أما على صعيد الديني، فبدرك المسيحيون من قراءاتهم للكتاب المقدس أهمية القدس، ف بتاريخها هو تاريخ الخلاص وخطة الله التي تحققَّت في بسوع المسيح الناصري (ع) وواسطته، إذ اختار الله القدس لتكون المكان والمستقر لاسمه القدس وسط شعبه والمكان الذي يقدم له فيه شعبه العبادة المرضية. لذا بالنسبة للمسيحيين ليست قيمة القدس في تاريخها أو في آثاراتها وحجاراتها فحسب، بل هي مهد ولادة المسيحية ولها جذور عميقة في حياة الكنيسة ولاهوتها وروحانيتها. وبهذا المفهوم تبقى القدس مكانًا رفيعًا.

(1) مجلة معلومات، العدد 41، نيسان 2007، (المراجع السابق)، ص 130.
وفريداً في قلب كل مسيحي وفي كل مكان، فأصبحت مدينة الجذور المسيحية واستمرار الوجود المسيحي والعاصمة الروحية لكل مسيحي (1).

والنسبة إلى المسلمين يجب النظر إلى العلاقة الدينية التي تربط الإسلام بالقدس في سياق منظور الإسلام إلى اليهودية والمسيحية. يعتقد كثيرون في الغرب أن الإسلام يقع خارج التراث اليهودي والمسيحي. وفي الواقع فإن الإسلام يحتضن اليهودية والمسيحية على السواء. ويرجع هذا إلى أنه يرى نفسه جزءاً مكملًا للديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية وتتويجاً لهما بالفعل. والمفهوم المركزي للإسلام أن العزة الإلهية أظهرت نفسها للبشر منذ الخلق عبر تعاقب الأنبياء الذين كان النبي محمد (ص) خاتمهم أي آخر الأنبياء. وكانت القدس القبلة التي اتجه إليها المسلمون الأوائل قبل أن تصبح مكة قبلتهم، ولا تزال القدس تعرف إلى يومنا هذا من قِبل المسلمين بأنها أولى القبليين، وتعزز قدسيتها في آية قرآنية تصف رحلة إعجازية للنبي محمد (ص) ليلاً من مكة إلى القدس (الإسراء). وكانت القدس، حسب الدين الإسلامي الموقع الذي صعد منه محمد (ص) إلى السماء (2).

(1) "جريدة النهار"، تاريخ 24 تشرين الأول 2000.
(2) "مجلة معلومات"، (المرجع السابق)، ص 26.
وفي أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، لم تعد القدس المسورة قادرة على استيعاب الزيادة السكانية، فبدأ الامتداد العمراني خارج سورها، فنشأت الأحياء، إضافة إلى الضواحي المرتبطة أصلاً بالمدينة، وشكلت مع القرى التابعة لها ما يعرف بالقدس الجديدة. وقد رسمت سلطات الانتداب البريطاني، حدود البلدية في ذلك الحين، بطريقة ترتبط بالوجود اليهودي القائم في محيط القدس القديمة، فقد امتد العمران حيث الاستيطان اليهودي إلى عدة كيلومترات غرباً بينما توقف نسبياً من الجهات الجنوبية والشرقية أمام مداخل القرى العربية المجاورة للمدينة من شملها بحدود القدس.

وفي العام 1931 جرى ترسيم الحدود البلدية من جديد، بحيث أصبحت تضم قطاعاً عريضاً بعرض 400م على طول الجانب الشرقي لسور المدينة. بالإضافة إلى أحياء باب الساهرة ووادي الجور والشيخ جراح من الناحية الشمالية، بينما يتوقف خط الحدود عند سور القديمة من الناحية الجنوبية (1).

 أمام المخطط الثاني لحدود البلدية، فقد تم وضعه في العام 1946، وجرى بم وجهه توسيع القسم الغربي من

(1) "الجريدة النهارية"، تاريخ 22 تشرين الأول 1996.
المدينة، واستيعاب الأحياء اليهودية الجديدة التي بقيت خارج التنظيم السابق. وأضيفت إلى الجزء الشرقي من المدينة منطقة وادي الجوز من الناحية الشمالية الشرقية، وبلغت مساحة المدينة بموجب هذا المخطط 1933 دونماً، منها 868 دونماً مساحة البلدة القديمة و18,463 دونماً خارج الأسور، فضلاً عن ذلك توسعت المساحة المبنية من 4130 دونماً في العام 1918 إلى 7230 دونماً في أواخر العام 1947. وفي العام 1947، جاء قرار التقسيم ليحيي بتدويل القدس، وإخضاعها لنظام دولي خاص.

كانت مساحة القدس سنة 1947، نحو 25 كم²، 18 كم² للقدس الجديدة تقريباً و5 كم² للقدس الشرقية وواحد كم² للقدس القديمة.

وبعد حرب سنة 1948، صار الوضع كالتالي: معظم القدس الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلي ومساحتها 17,7 كم²، والقدس الشرقية ومساحتها 6 كم² ومنطقة الأمم المتحدة ومساحتها 1 كم². وبعد احتلال القدس الشرقية سنة 1967، وضمّها عملياً إلى القدس الغربية في 30 تموز 1967، صارت مساحة القدس البلدية نحو 76 كم²، وفيها نحو 180 ألف يهودي(1). بالإضافة إلى ذلك عكف المحتلون الإسرائيليون على إقرار إجراءات من جانب واحد.

(1) "جريدة النهار"، (المرجع نفسه).

244
وتطبقها خارقين القواعد والقوانين الدولية، ومخالفين صلاحيات الدولة المحتلة بحسب القوانين الدولية(1). فأصدرت على ضم القدس الشرقية، وتوسيع حدودها، وتكيفر النشاط الاستيطاني غير المشروع في داخلها، وتغيير عالم المدينة جغرافياً وديموغرافياً، حتى يتسنى لها فصلها تدريجياً عن سائر الأراضي المحتلة. ولتنفيذ الأهداف الإسرائيلية في القدس الشرقية، اتخذت السلطات الإسرائيلية أساليب متعددة لسلم الأرض، وفرض التهجير القسري على المواطنين الفلسطينيين بغاية زيادة عدد السكان اليهود، مقابل تقييد عدد المواطنين الفلسطينيين في القدس وذلك عن طريق مصادرة الأراضي، وتقليص مساحات الأراضي الصالحة للبناء العربي في القدس، وعدم منح المواطنين الفلسطينيين تراخيص بناء، بالإضافة إلى تحديد ارتفاع البناء بحيث لا يتجاوز ارتفاع المنازل في الضواحي الفلسطينية في القدس الشرقية طابقين، بينما يسمح بارتفاع المباني في الضواحي اليهودية في القدس الشرقية إلى ثماني طوابق(2).

وعملت إسرائيل في خلال السنوات اللاحقة على الوصول إلى ما يسمى "القدس الكبرى"، مساحتها 330 كم².


(1) (2)
وتضم 28 قرية عربية و84 مستعمرة يهودية وتمتد حدودها إلى رام الله شمالاً، وغوش عتصيون جنوباً ومعاليه أدميم شرقاً، وبيت شيمش غرباً.

وفي العام 1968، تمت مصادرة 3346 دونماً من أراضي حي الشيخ جراح، ووادي الجوز، وأرض السمار، وأقيمت عليها أحياء استيطانية بدأت تملأ الأفق الشمالي والغربي لتشكل أول الأطراف حول القدس.

وفي صيف العام 1970، بدأت الخطوة الثانية من سياسة بناء الأطراف، حيث تمت مصادرة 120,000 دونم بحجة المصلحة العامة لتقام عليها كبرى المستوطنات، ولتشكل الطرق الثاني بدأاً من المنطقة الشمالية من القدس. وفي شتاء العام 1980، فوجئ أهالي بيت حنينا وشعافاط، بمصادرة مساحات أخرى من أراضيهم بلغت 4400 دونم، لتقدم حلقة الوصل بين المستوطنات الشمالية والشرقية والمستوطنات الغربية(1).

وفي يوم 30 تموز 1980، أي في عهد حكومة «بیغن» أقر الكنيست قانون أساس، أي قانون دستوري، «هو قانون القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية». أما في العام 1993، فجرى توسيع مدينة القدس مرة

(1) جريدة النهار، (المراجع نفسه).
밖에 إلى 130 كلم. وفي العام 2005 أقرت الحكومة الإسرائيلية مخطط مدينة القدس حتى العالم 2020، ويشمل أحياء استيطانية جديدة ومرافق وسكك حديد وشوارع ومناطق خضراء، وتتوسع لمساحتها قدره 40% إضافية (1).

بلغ عدد سكان القدس الشرقية والغربية في سنة 2008 نحو 800 ألف نسمة، 390 ألفًا يقطنون القدس الغربية و410 آلاف يقطنون القدس الشرقية ومحيطها، ومن بين هؤلاء 184 ألفًا من اليهود و226 ألفًا من الفلسطينيين.

وفي 11 آذار 2008، قررت الحكومة الإسرائيلية تسجيل عقارات فلسطينية في "الطيبو" باسم اليهود الذين استولوا عليها في الحي المسمي مقدسياً باسم "حارة الشرف"، وهو الملاصق لحائط العراق ويتاخم الحرم. وقد شرّد سكان هذا الحي، وهجروا من بيوتهم لإقامة ساحة الصلاة عند حائط المبكى أو الحائط الغربي "اللهيكل"، كما يسميه اليهود، لتتوطن اليهود. وأصبح اسم هذا القسم من البلدة القديمة داخل الأسوار "الحي اليهودي"، وجرى مضاعفة مساحته عدة مرات، ولكن مع عملية التسجيل بالطيبو، حوّلت الأملاك المصادرة إلى ملكية خاصة للسكان اليهود كأفراد (2).

(1) جريدة السفير، تاريخ 22 كانون الأول 2009.
(2) جريدة السفير، (المرجع نفسه).

247
هذه الإجراءات يلجأ إليها الإسرائيليون لثني فلسطيني القدس عن البقاء في المدينة تمهيداً لإلغاء القدس بوصفها أرضًا مقدسة، ورمزًا دينيًا وسماويًا مشتركاً بالنسبة إلى الأديان السماوية. والتطرف الصهيوني لا يعتبر التهجير مكتملاً إلا عندما ينتهي الطابع الكوني لبيت المقدس بشرًا ومعالم وتاريخًا وذاكرة.

لقد كانت مدينة القدس محور الصراع العربي الإسرائيلي منذ ما يقارب القرن. وبدأت تفاعلًا تصعيديًا منذ سقوط الدولة العثمانية ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتنفيذ المطامع الصهيونية بالتعاون مع قوى الاستعمار لإقامة "الدولة الصهيونية"، عليها موضع التنفيذ.

غير أن الخطر الصهيوني الحقيقي والقائم حالياً، والذي طالما حذّر منه العرب، برزت معالم مخططة على الأرض منذ قيام دولة إسرائيل سنة 1948، واحتلالها المدينة سنة 1967، وأصبحت نتائج تطبيقه على مدى ما يقارب الخمسين سنة واضحة للجميع.

بات من الواضح أن هدف إسرائيل هو تصفية الشعب العربي الفلسطيني وإبادته معتمدة في ذلك أساليب متنوعة منها التهجير. والتهجير عملية طرد للسكان الأصليين ليحل محلهم (1) "جريدة السفير"، (المراجع نفسه).
المشروع اليهودي والدولة الصهيونية المعاصرة

سكان آخرين. لقد اتخذت عملية تهجير الفلسطينيين أشكالاً مختلفة ومترتبة بمراحل مختلفة كذلك. ونتيجة لذلك انخفضت نسبة السكان العرب من 52% بعد قيام "دولة إسرائيل" مباشرة إلى 17.9% عام 1949 و12.9% عام 1950. أما حرب 1967 فقد نتج عنها تشريد 40 ألف من عرب الضفة الغربية ونحو 50 ألفاً من قطاع غزة. وتشير مصادر أخرى إلى أن الكيان الصهيوني قد لجأ مستغلاً ظروف الحرب إلى العنف في تهجير نحو 376 ألف مواطن عربي من الضفة الغربية ونحو 47 ألف من قطاع غزة. واستمرت عملية التهجير بعد ذلك، فما بين نهاية العام 1967 والعام 1979، بلغ عدد الذين هجروا بشكل نزوح من الضفة والقطاع نحو 354 ألف مواطن، أي بمعدل سنوي يبلغ 29500(1).

(1) "الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني"، منشورات دار النضال، بيروت 1985، ص 50.
اليهود وزيف الحق التاريخي

يعتبر بعض المؤرخين ومنهم الكاتب الإسرائيلي والباحث في علم الآثار في جامعة تل أبيب (هيرتسوغ) أن الخروقات التي أقدمت عليها الصهيونية عموماً (ودافيد بن غوريون)، على وجه الخصوص يتمثل في إعادة الاعتبار للكتاب العهد القديم. فقد رأت الصهيونية وبن غوريون في هذا الكتاب الديني الأساس الفكري الأهم لإقامة الدولة اليهودية. ولذلك جرت عملية فكرية واسعة لتمييز مفاهيم هذا الكتاب في الذهن الصهيوني، وتحويله من مجرد كتاب ديني إلى برنامج عمل، بعد أن كان المتدينون اليهود خلال قرون يركزون على التلمود الذي يحوي التشريعات والشرائع الدينية ويخلو تقريباً من الأبعاد التاريخية، غير أن التورة كان في العرف الصهيوني مصدراً للتاريخ، وفيه تكمن كل مبررات الادعاء اليهودي بالحق التاريخي في فلسطين.

(1) جريدة السفير، تاريخ 1 تشرين الثاني 1999.

250
وجاء هذا الإحياء لهذا المصدر في الوقت الذي كانت فيه أغلبية الباحثين في هذا الحقل ترى في هذا الكتاب مجرد أساطير لا يمكن الاستناد إليها، لا في كتابة التاريخ القديم لفلسطين، ولا في منح الحق لليهود في فلسطين.

أما الجمهور اليهودي، فقد اعتبر بأغلبيته الساحقة، معطيات هذا الكتاب حقائق تاريخية غير مشكوك فيها لدرجة أنهم اعتبروا الباحثين الانتقاديين مجرد معاديين للسامية. ومع ذلك كان يبرز بين الحين والآخر بعض اليهود الذين يحاولون استغلال الأدوات العلمية والمكتشفات، لإعادة كتابة التاريخ على أسس واقعية، وكان من أول هؤلاء الفيلسوف بارخ سبينوزا الذي كتب في القرن السابع عشر، "إن من الواضح كالشمس في عز الظهيرة أن خمسة أخماس التوراة لم تكتب على أيدي موسى، وإنما بيد شخص عاش بعد عشرينات كثيرة". بعد هذا الموقف للفيلسوف بارخ سبينوزا طردته الطائفة اليهودية من صفوفها، وصدر كتابه لأن في نظرهؤلاء أن النبي موسى كتب الأسفار الخمسة الأولى بتوجيه إلهي (1).

(1) "جريدة السفير" (المرجع نفسه).

251
تاريخ اليهود السياسي

وفي العام 1943، سمح البابا بيوس الثاني عشر للمفسرين بالاستعانة بالأبحاث الجديدة المكتوبة أو الشفوية التي استنذ إليها. ووجد الباحثون الكثير من التنافضات في التسلسل الزمني للأحداث الواردة في هذه الأسفار، وعثروا على قصص متكررة تحوي الكثير من التنافضات. ورأى الباحثون أن التوراة استنذت إلى أربعة مصادر مختلفة، بحيث إن كل طرف يروي في التوراة القصة من وجهة نظره الخاصة.

وفي السنوات الأخيرة حدثت ثورة فعالية في تعامل الباحثين الإسرائيليين مع التوراة بوصفها مصدرًا تاريخيًا. فمعظم المنشغلين في المداولات العلمية في ميدان التوراة، علم الآثار وتاريخ شعب إسرائيل، الذين كانوا يبحثون ميدانيًا عن إثباتات لصدقية قصص التوراة، يتفقون على أن مراحل تشكل شعب إسرائيل كانت مغامرة تمامًا للصورة الموصوفة في التوراة.(1)

وقد ازدهرت هذه الأبحاث مع وصول "ويليام فوكسويل أولبرايتس" الباحث في شؤون أرض إسرائيل والشرق القديم، وأولبرايتس أميركي ابن كاهن من أصل تشيلي، بدأ العمل في "جريدة السفير" (المرجع نفسه).

(1)
أرض "إسرائيل" في مطلع العشرينات من القرن الماضي، وكان يؤمن أن علم الآثار هو الوسيلة العلمية الأساسية لتنفيذ المزاعم الانتقائية ضد تاريخية قصص التوراة.

وكان أولبرایت يؤمن أن التوراة وثيقة تاريخية، وكان على قناعة بأنه إذا تم الكشف عن الأطلال القديمة في البلاد، فإن ذلك ستوفر برهانًا قاطعًا على الصدقية التاريخية للأحداث المتعلقة بشعب إسرائيل في أرضه.

وقاد علم الآثار التوارتي الذي تطور بعد أولبرایت وتملجه إلى إجراء حفريات واسعة في الوديان التوراتية الهامة: مجدو، لخيش، جيزر، نابلس، أريحا، القدس، جيرون، بيسان، بيت شمس، حاتسور نعناع، وقد ظهرت الثغرات في الصورة، وشكلت مفازرة حيث نشأ وضع بدأت الاكتشافات الكثيرة تفوّض المصداقية التاريخية لوصف التوراتي، بدلاً من أن تعزه، وبدأت مرحلة الأزمة، وهي مرحلة لا تستطيع فيها النظرات أن تحل العدد المتزايد من المجهول، وغدت التفسيرات معقدة وغير علمية، فتشوشت الصورة وتبين أنها قابلة للاكتمال.

(1) جريدة السفير، تاريخ 19 كانون الثاني 1996.
(2) جريدة السفير، تاريخ 1 تشرين الثاني 1999.

253
فالحفريات المتكررة التي أجريتها بعثات مختلفة في أريحا، وفي إعمان، المدينتين اللتين يذكر وصف احتلالهما بالتفصيل الدقيق من قبل يوشع بن نون، خيبته الأمل، فالحفريات دلّت على أن أسوار أريحا لم تكن موجودة في العصر المفترض لدخول يوشع بن نون إليها، فهي تحتمت قبل ذلك بثلاثة قرون، ولم يُعد بناؤها، وأثبتت كاثلين كينون، في حفرياتها التي أُجريت بين (1952-1958)، أن أريحا لم تكن مأهولة في تلك الفترة قبل قرن من عصر يوشع (1).

كما أصدر عالم الآثار الإسرائيلي، يسرائيل فنكنشتاين، وهو رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب، بحثًا بين النص التوراتي المتداول والحقائق التي تؤكدها الاكتشافات العلمية.

ومنها ما يتعلق بالهيكل وآثار داورود وسليمان فهو يقول: إن هناك خطأ في التاريخ يتبين منه أن هذه الآثار كانت موجودة قبل فترة من القرن العاشر قبل الميلاد الذي فيه.

(1) جريدة السفير، (ملحق فلسطين)، العدد 4، تاريخ 17 آب 2010، السنة الأولى.
داود و سليمان. و حسب المعطيات التي توصل إليها فنكنشتاين، فإن الهيكل بني بعد مئة سنة من عهد سليمان، وأن القدس لم تكن سوى بلدة صغيرة، ليس لها طابع المدينة العظيمة كما وصفتها التوراة، وأنه لم يعثر على أي أثر يثبت ما جاء في نص التوراة في ما يتعلق بأعمال البناء التي يقال أن سليمان أمر بها في القدس، وقد حظي فنكنشتاين بتأييد واحد من كبار علماء الآثار وهو ديفيد أوشيسكين(1). ولكن من عجائب المفارقات أن كل هذا النشاط الواسع الذي قاده متقبلون يحملون التوراة بيد، ومعول التنقيب باليد الأخرى، وقد أدى أخيراً إلى عكس الغاية المنشودة منه، وبدأت حلقات الرواية التوراتية، واحدة إثر أخرى، تخرج من مجال التاريخ إلى مجال الأدب الديني، ولم يبق من أحداث الأسفار التاريخية في التوراة ما يتقاطع مع علم التاريخ وعلم الآثار(2). يتبين مما تقدم أن الصهيونية اعتمدت في بناء دعوتها السياسية على العقيدة الدينية المتجذرة في أوروبا وأميركا.

(1) مجلة معلومات، العدد 41 تاريخ نيسان 2007، ص 152.
(2) مجلة معلومات، المرجع نفسه، ص 168.
وكانت نصوص التوراة هي الحجة الوحيدة التي تسليح بها الصوت الصهيوني من على المنبر الأمم المتحدة يوم طالب بالاعتراف بقيام دولة إسرائيل.
وراح الزعماء الصهيونيون يستغلون النصوص التوراتية في مناظراتهم السياسية والاجتماعية لأن مثل هذه النصوص راسخ في الوحدان الشعبي اليهودي. ويعملون على تسخير النبوءات في سبيل تحقيق الأحلام التوسيعة، ويحاولون استنفاد الأرض بعد غزوها واحتلالها(1). إن الفجوة بين أصول إسرائيل علم الآثار وأصول إسرائيل كتاب التوراة هي من السمة بحيث تضمنا أمام مجتمعين متباثين كلياً على الرغم من اشتراكهما في مكان جغرافي واحد. فإسرائيل التوراتية هي ابتكار أدبي خيالي، لا يعطيه صفة الواقعية رغم أنه يجري على مسرح جغرافي واقعي، سوغت الصهيونية الدولة اليهودية فيها حتى قبل قيامها، وذلك بتقديم قراءة للتاريخ تفتقر إلى الموضوعية وتجنح إلى التحوير والترويج.
وفي هذا السياق عملت الصهيونية على إعادة اختراع فلسطين من جديد بتشويه ما يزيد على ألفي سنة من التطور.

الحضاري والإنساني فيها تارة، وبطمس أجزاء منه تارة أخرى، وما زالت الصهيونية تقتلع وتختترع، وترمو ثم تبني على أنقاض ما محت لتحقيق غرضها. وفي خضم هذا السيل الجارف الماحي، تبرز رغبة صهيونية حثيثة في إعادة كتابة التاريخ، لكي يتكلم جرف الأرض مع جرف تاريخهاً.

التاريخ يقول إن أرض فلسطين، كل فلسطين، هي أرض عربية، وإسرائيل تستند إلى خرافات ومعتقدات توراتية تلمودية زائفة يكتبها التاريخ. فمنذ آلاف السنين والعرب هم أهل فلسطين، وإذا عاش اليهود قبل ألفي سنة في جزء من أرض فلسطين، فإن هذا ليس مبرراً لانتزاع الشعب العربي الفلسطيني من أرضه وإحلال الصهيونية محلهم.

إذا التمكنت الصهيونية لا تغير الحقائق التاريخية الثابتة ولا تكتسب الكيان الصهيوني أي شرعية، فإن إسرائيل احتلت فلسطين بالقوة وأقامت كيانها على أرض لا تمكنتها، والقوة التي لا تستند إلى حق لا يمكن أن تدوم.

فلسطين بلا شعب لشعب بلا أرض؛ هذه العبارة الصهيونية الشهيرة تختصر المنطلقات الأساسية لاستراتيجية السياسة السكانية الصهيونية، لتكون حالة فريدة في التاريخ.

(1) مجلة معلومات، العدد 41 تاريخ نيسان 2007، (المرجع السابق)، ص 19.
الإنساني، قائمة على اقتلاع شعب له تاريخه وحضارته العريقة وإحلال شتات من أقوام متناثرة لا يجمعها سوى مخططات العداء للنهوض العربي المرتبطة لباس التكوين الطائفي على أكذوبة "أرض الميعاد". إن عملية الاستيلاء وتحويل الملكية حالة مستمرة في جميع المناطق المحتلة، ويجوز للحكومة مصادرة الأراضي وطرد أصحابها دون الرجوع إلى المحاكم كما ييجح للحكومة استخدام القوة لتنفيذ هذا الغرض (1). وقيام المستوطنات، الوجه الآخر لعملية الاحتلال المكتملة للتهويد والتفرير، (تهديد الأرض وتفريرها من السكان العرب). وهي المرتكز الرئيسي لاستراتيجية السيطرة الديمقراطية والسيطرة على الأرض، وهي الحزام الأمني والاقتصادي للمجتمع الصهيوني، هذه المستوطنات التي ترمي إلى توطين أكبر عدد من اليهود في الأراضي المحتلة كوطن قومي لهم قد أخفت لمنهج تدريجي في عملية التوسع غير محدود برقة واضحة دلّ عليها بشكل واضح تصريح بن غوريون "حدود إسرائيل ستعينها الأجيال القادمة"(2).

(1) جريدة القدس. تاريخ 19 كانون الثاني 1981.
(2) إياس سعد: "الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة"، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1966، ص 126.
هذا المناهج لم يكن ليحده الواقع التنفيذي إلا الإمكانيات المتاحة ديمغرافياً أي إحلال السكان اليهود المهاجرين مكان السكان الأصليين العرب. لذا فقد أقيمت المستوطنات وفق تخطيط استراتيجي، أبرزها مشروع القدس الكبرى كأحد عوامل الجذب السكاني لليهود تحت شعار "إحصروا وابنوا القدس".

(1) عبد الرحمن أبو عرفة: "الاستيطان التطبيقي العملي للصهيونية"، المؤسسة العرية للدراسات، دار الجليل، ط1، 1981، ص 217.
الخاتمة

تراث اليهود الطبيعية العدوانية جيلاً بعد جيل، ولم يتورث مفكروهم وحكامهم في الحركة الصهيونية، منذ نشوئها أن يفسروا العدوان ويسوغوه لشعبهم مستندين في فلسفةهم إلى ‹وعد إلهي›، زوروه لمصلحتهم، وإلى ادعاء بأن الله فضلهم على سواهم من بني البشر.

وقد انطلقت الصهيونية من وجود المشكلة اليهودية ممثلة بالاضطهاد الذي شهده اليهود في العديد من الدول الأوروبية للمطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود المشتتين في العالم عبر الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فحجة اليهود بدعائهم الحق في امتلاك أرض فلسطين، قائمة على اعتبار أن هذه الأرض هي الوطن التاريخي لبني إسرائيل. وأنها مُنحت لهم بوعد إلهي. ولذلك فهم يتحدثون عن الربط المقدس والإلهي الذي يشد اليهود إلى أرض الميعاد.

والملاحظ أن مقوله ‹الوعد الإلهي› تعتبر من أهم المبررات التي رفعها الصهيوئيون في وجه العالم، لتهجير اليهود إلى فلسطين، وإنشاء الدولة اليهودية فيها. وهي تمنحهم حقوقاً مقدسة وخالدة لا تتأثر بأية حقوق ومطالب
أخرى. ولا يمكن لأحد، حتى للفلسطينيين أصحاب الأرض الحقيقين أن يكون له حقوق أقوى، أو على الأقل مماثلة لحقوق اليهود في فلسطين. ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد من إرجاع أصل اليهود إلى أقدس شخصية في التاريخ القديم، أي إبراهيم الذي كان صيته قد عمّ جميع أرجاء عالم تلك الأزمان.

أما الهدف الثاني، فهو تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى، وهم بريئون منها. هذا في حين أن الدراسات المبنية على الاكتشافات الآثارية الأخيرة تشير على وجه التأكيد إلى أن عهد إبراهيم الخليل كان يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد بحسب أوثق وأحدث تقديرات العلماء لعهده، بينما يرجع عصر الفلسطينيين الذين سميت الأرض باسمهم إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث قدم الفلسطينيون إلى أرض كنعان، فاستقروا فيها في عهد اليهوسيين قبل قدوم الإسرائيليين إلى بعض مناطقها بـ 150 سنة تقريباً.

ونصوص التوراة ذاتها تتر بأن الفلسطينيين كانوا موجودين في فلسطين قبل خروج قوم موسى من مصر في القرن الثالث عشر ق.م. وهذا ما يجعل فاصلاً بين عهد إبراهيم وعهد الفلسطينيين يمتد حوالي سبعة قرون من الزمن. وبذلك تكون مدوّنات التوراة قد ربطت العصرين وعددهما عصراً واحداً.
والثورة عند عرضها للحوادث التاريخية، لم تحدد التسلسل الزمني، ولم تنسق الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك لكي يلتبس الأمر على القارئ، فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتبين زمن كل منها.

شكلت أساطير الصهيونية عاملًا حاسماً في تأسيس دولة إسرائيل بوصفها الهوية المركزية للمجتمع اليهودي في فلسطين.

وبعد احتلال الحلفاء لفلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى، أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الصهيونية في تحقيق مخططها الرامي إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

إن إسرائيل دولة، غير شرعية، لأن فكرة الدولة اليهودية قامت على أرض سلب من الشعب الفلسطيني، واليوم تتعامل مع هذا الشعب، على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية.

ومنذ ولادة الدولة الإسرائيلية، لم تسلم بحق الشعب الفلسطيني، تحت أي صيغة من صيغ الوجود الوطني، بما فيها القرارات الدولية. خاضت وت تخوض الحروب المتتالية تحت عنوان الاعتراف بها دولة قومية لليهود، بما يعني ذلك حقها التاريخي في احتلال فلسطين وفق نظرتها اللاهوتية التلمودية. لكن إلغاء حق الشعب الفلسطيني ليس هدفها الوحيد، بل ما زالت تتطلع إلى دور الدولة الأقوي في
تاريخ اليهود السياسي

محيطها، لكي تكون ضابط الإيقاع الذي يتحكم في تطور
المنطقة، وفي رأس تلك الأهداف ضرب المشروع العربي،
أكان وحدوياً أو تنمياً أو تقدماً. ونلاحظ أنها لم تتوقف عن
السعي لمثل هذه الأهداف كلما سنحت لها الفرصة مستبعدة
خير السلام، والاندماج السوي العادي كأي دولة أخرى في
المنطقة.
المصادر والمراجع

أولاً: مصادر ومراجع باللغة العربية

- "القرآن الكريم" الدار الشامية للمعارف، دمشق.
- "الكتاب المقدس، العهد القديم" دار الشروق، بيروت 1986.
- "الخصائص الديموغرافية للشعب العربي الفلسطيني" منشورات دار النضال، بيروت، ط1، 1985.
- أحمد أمين: "ضحى الإسلام"، دار الكتاب العربي، الجزء الأول.
- أحمد شيلي: "مقارنة الأديان اليهودية"، مكتبة النهضة القاهرة 1965.
- أحمد عمران: "تشريح تاريخ الصهيونية". دار المجد (بدون تاريخ).
- أسعد رزوق: "إسرائيل الكبرى". مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968.
- المساودي: "مروح الذهب". الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، بيروت (بدون تاريخ).
- إلياس سعد: "هليرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة". منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1969.
- الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان: "الممارسات الإسرائيلية المخالفة والتعويضات". بيروت، حزيران 1996.
- بروتوكولات حكماء صهيون: الطلاب الوطنيون في لبنان. دار القاموس الحديث، بيروت (بدون تاريخ).
- بشارة الخوري: (حقائق لبنانية)، منشورات أوراق لبنان، الجزء الأول، 1960.
- جورجي كنعان: (تاريخ يهود)، الدار العربية للعلوم، بيروت 1994.
- جورجي كنعان: (موعد ومهمة)، دار بيسبان للنشر، بيروت 1999.
- جورجي كنعان: (وثيقة الصهيونية والعهد القديم)، دار النهار، بيروت 1985.
- جورجي كنعان: (العنصريات اليهودية)، دار النهار، بيروت 1983.
- جورجي كنعان: (سقوط الامبراطورية الإسرائيلية)، دار النهار، بيروت 1982.
- جبران نقولا: (في العالم اليهودي، فلسطين)، القدس 1935.
- جورج ناصيف: (الوحدة العربية وإسرائيل)، معهد الإنسان العربي، بيروت 1985.
- حنان حلاق: «دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش 1908-1909»، الدار الجامعية، بيروت (بدون تاريخ).
- خديجة صفا: "من هم اليهود؟" (بدون تاريخ).
- سهام نصار: "صحافة اليهود في مصر بين ادعاء الانتماء وتكريس العزلة (محاضرة), الندوة السنوية لجمعية الدراسات التاريخية, القاهرة, تاريخ 22 نيسان 2008.
- عبد الرزاق الأسود: "المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب"، المجلد الأول، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1981.
- عبد الرزاق محمد أسود: "اليهودية، الصهيونية، إسرائيل"، الدار العربية للموسوعات، المجلد الأول، بيروت 1981.
- عبد المنعم فوزي: "مذكرات في المجتمع العربي"، دار النهضة، بيروت 1970.
- عبد الرحمن شاكر: "دولة الخزر الجديدة، إسرائيل"، دار مصباح الفكر، ط1، 1981.
- عبد القادر ياسين: "القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري"، دار ابن خلدون، بيروت 1981.
- عبد الرحمن أبو عرفة: "الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981.
- عباس محمود العقاد: "الصهيونية وقضية فلسطين"، مشارات المكتبة المصرية، بيروت/صيدا (بدون تاريخ).
عباس محمود العقاد: "إبراهيم أبو النبياء": مطابع دار الهلال، مصر (بدون تاريخ).
علي عبد فتوني: "المراحل التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي": دار القارابي، بيروت 1999.
فؤاد عبد الرحمن الرفاعي: "حقيقة اليهود": (بدون تاريخ).
فيليب تومبسون: "هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم فلسطين": (بحث)، منشورات دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.
فيليب حتي: "تاريخ العرب": دار غندور، بيروت.
قسطنطين خمار: "الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية": المكتب التجاري، بيروت 1966.
كارل ماركس: "حول المسألة اليهودية": دار الحقيقة، بيروت، (بدون تاريخ).
ليفيف إلياس لطيف: "البنان التوراتي في اليمن": دار الجنوب للطباعة، صيدا 2000.
تاريخ اليهود السياسي

ليفيا روكايخ: "قراءة في يوميات موشي شاريت"، دار ابن خلدون، ط1، بيروت 1981.


مصطفى عبادي: "الإمبراطورية الرومانية، النظام ومصر الرومانية"، دار النهضة، بيروت 1981.


محمد عزة دروزة: "مأساة فلسطين"، دار اليقظة العربية، ط1، بيروت 1988.

محمد عبد السلام كفافي: "في أدب الفرس وحضارتهم"، بيروت 1967.

محمد مراد: "المدارس الكبرى"، مكتبة الفقية، بيروت 1996.

محمد مصباح حمدان: "الاستعمار والصهيونية العالمية"، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت 1967.

محمد محمود الصياد: "الographers المجهولين"، دار النهضة العربية، بيروت 1977.
مصادر والمراجع

- منى محمود منازع: «اليهود والاستثمارات الأجنبية في مصر» (محاضرة)، الندوة السنوية لجمعيات الدراسات التاريخية، القاهرة، 22 نيسان 2008.
- نصر شمالي: «ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية»، مكتب الخدمات الطماعية، ط1، دمشق 1984.
- نجيب أرمنازي: «سورية من الاحتلال حتى الجلاء»، دار الكتاب العربي، مصر 1954.
- هاني الهندي: «حول الصهيونية وإسرائيل»، دار الطليعة، بيروت (بدون تاريخ).
- هنادي الحاج: "الأديان من أولها إلى خاتمها"، بيروت -
M.C.A.Sarl
- لبنان (بدون تاريخ)، إصدار شركة
- هاشم زكريا: "أميركا والصهيونية"، دار الوثبة، (بدون
- تاريخ).
- يوسف الحاج: "هيكيل سليمان"، بيروت 1932.
- يعقوب يوسف كوربة: "يهود العراق، تاريخهم،
- يولا أسطيح: "يهود لبنان"، النشرة الإلكترونية اللبنانية،
- تاريخ 22 آب 2009.

ثانياً: المراجع المترجمة إلى العربية
- آدم ميتر: "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري"،
- ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت
- (بدون تاريخ).
- آلين هوايت: "الآباء والأنبياء"، ترجمة: فرج الله إسحق;
- دار الشرق الأوسط للطبع والنشر، بيروت (بدون تاريخ).
- ألبان ويدجيري: "المذاهب الكبرى في التاريخ"، ترجمة:
- ذوقان قرقوق، دار القلم، بيروت 1979.
- أنيس صايع: "يوميات هرتزل"، ترجمة: هيلدا شعبان
المصادر والمراجع

- ياسر هوازي، سلسلة كتاب الملايين، بيروت 1953.
- جوش مكدويل: «اثنتي في التوراة والإنجيل»، ترجمة: منيس عبد النور، ألمانيا (بدون تاريخ).
تاريخ اليهود السياسي

- جون سترينج: «الملك هيرود وأورشليم، كتاب القدس أورشليم العصور القديمة»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (بدون تاريخ).
- موريس دونان: «بيبلوس، تاريخها وآثارها، وأساطيرها»،

- مجموعة الكتب السوفيتية: "الصهيونية نظرية وممارسة"،
- نجلاء عز الدين: "العالم العربي"، ترجمة: جماعة من الأساتذة، القاهرة (بدون تاريخ).

ثالثًا: المجلات حسب تسلسلها الزمني
- "مجلة فلسطين"، العدد 112، السنة العاشرة، تاريخ تموز 1970.
- "مجلة فلسطين"، العدد 131، تاريخ شباط 1972.
- "مجلة شؤون فلسطينية"، العدد 77، تاريخ نيسان 1978.
- "مجلة عالم المعرفة"، العدد 197، تاريخ أيار 1995.
- "مجلة عالم المعرفة"، العدد 224، تاريخ آب 1997.
- "مجلة الشرواع"، العدد 353، تاريخ كانون الأول 1998.
رابعاً: الصحف حسب تسلسلها الزمني

- "جريدة القدس"، 19 كانون الثاني 1981.
- "جريدة السفير"، تاريخ 19 كانون الثاني 1996.
- "جريدة النهار"، تاريخ 22 تشرين الأول 1996.
- "جريدة السفير"، تاريخ 1 تشرين الثاني 1999.
- "جريدة النهار"، (نهار الشباب)، تاريخ 24 تشرين الأول 2000.
- "جريدة السفير"، تاريخ 22 كانون الأول 2009.
- "جريدة السفير"، تاريخ 23 نيسان 2010.
- "جريدة الديار"، تاريخ 23 نيسان 2010.
- "جريدة السفير"، تاريخ 8 أيار 2010.
- "جريدة السفير"، (ملحق فلسطين)، العدد 2 تاريخ 15 حزيران 2010، السنة الأولى.
- "جريدة السفير"، (ملحق فلسطين)، العدد 3 تاريخ 15 تموز 2010.
المصادر والمراجع

- "جريدة السفير", تاريخ 22 تموز 2010.
- "جريدة السفير", (ملحق فلسطين), العدد 4, تاريخ 17 آب 2010.
- "جريدة السفير", تاريخ 4 تشرين الأول 2010.
- "جريدة السفير", تاريخ 19 تشرين الأول 2010.
- "جريدة المستقبل", تاريخ 18 نيسان 2011.
المحتويات

المقدمة
الفصل الأول: اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم
  - إبراهيم الخليل (ع)، نسبه وحياته وأسفاره
  - يعقوب (ع): نسبه وأسفاره
  - موسى (ع): حياهه، مواقفه وأسفاره
  - يشوع بن نون (ع)
  - داوود (ع)
  - سليمان (ع)
الفصول الدينية للهود
  - التوراة
  - أسفار موسى (ع)
  - التلمود
الفصل الثاني: فلسطين والغزوات الخارجية
  - قبل الميلاد

281
التاريخ السياسي

- الغزو الآشوري وسقوط مملكتي إسرائيل ويهودا — 79
- اليهود خلال الحكم الفارسي — 83
- الإسكندر المقدوني في فلسطين — 87
- اليهود خلال الوجود الروماني — 91
الفصل الثالث: السلوك السياسي ليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية — 97
- يهود الخزر — 99
- اليهود في أوروبا الشرقية وروسيا — 103
- اليهود في أوروبا الغربية — 114
- اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية — 126
الفصل الرابع: المخطط الاستعماري - الصهيوني نحو فلسطين — 135
- تيدور هرتسلاو ومشروع الدولة اليهودية — 137
- مؤتمر بال في سويسرا — 142
- أهداف اليهود في الحرب العالمية الأولى 1914-1918 — 152
- الجهود الصهيونية عشية صدور وثيقة بلفور — 161
- نص الخطاب الذي دخل التاريخ باسم تصريح بلفور، وعد بلفور — 167
- مؤتمر الصلح في باريس - فرنسا، شرعة
- المشروع اليهودي
الفصل الخامس: يهود بعض البلاد العربية
- تاريخ يهود العراق
- اليهود في اليمن
- يهود سوريا
- يهود لبنان
- اليهود في مصر
- يهود المغرب العربي
- تونس
- يهود المغرب
الفصل السادس: المشروع اليهودي والدولة
- الصهيونية المعاصرة
- الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مشروع الاستيطان
- إعلان دولة إسرائيل عام 1948 (يوم النكبة)
- القدس: تاريخ وواقع
- اليهود وزيف الحق التاريخي
الخاتمة
283
المصادر والمراجع

أولاً: مصادر وراجع باللغة العربية 265
ثانياً: المراجع المترجمة إلى العربية 274
ثالثاً: المجلات حسب تسلسلها الزمني 277
رابعاً: الصحف حسب تسلسلها الزمني 278